روايات عبير

سارة جرانت

طفل إسمه ماتيو

www.elromancia.com
مرمورية

٢٣٤

مكتبة مدبولي الصغير

روايات عبير

«ABIR» - No. 234

طفل إسمه ماتيو

أخيرا عثرت لورا على طفلها ت ماتيو البالغ من العمر خمس سنوات. لكنها لم تكن تتوقع أبدا أن تكتشف أنه فى رعاية والده الوسيم الأسمر. سارجاريث رايدر بخطوات واسعة بعيدا عنها وتركها فى حزن عميق . فلماذا كان غاضبا منها ؟

ثارت ثائرة جاريث عندما ظهرت لورا ثانية فى حياته .

لم يصدق أنها كانت تبحث عن ماتيو .

ألم تهجره وطفلها برغم كل شىء ؟

إلاّ أن لورا كانت مختلفة . لم تعد الفتاة الثرية المدللة ، بل امرأة مرغوبة جدا . العواطف المدفونة لمدة طويلة سرعان ما طفت على السطح . هل من الممكن أن يثق فيها جاريث مرة أخرى ... ؟

لبنان	٢٢٥٠ ل ل	الكويت	١,٥٠٠ د	اليمن	٦,٤٠ ر	U.K.	2,40
سورية	٤٠ ل س	الامارات	١٩,٢٠ د	تونس	٢,٤٠ د	France	F 16
الأردن	١,٥ ف	البحرين	٢,٤٠ د	ليبيا	١,٦٠ د	Greece	Drs 320
العراق	١,٢ ف	قطر	١٩,٢٠ ر	المغرب	٨ د	Cyprus	P 2,40
السعودية	١٠ ريال	عمان	٢,٤٠ ر	مصر	٣٠٠ ق		

الفصل الأول

« ماتيو » .

الاسم الذى انزلق دون وعى تقريبا من شفتى لورا بريان وهى تنظر مرة ثانية فى الصورة التى تمسكها بيديها بحب شديد . كانت تحملق بعينين تواقتين فى صورة ولد صغير شعره داكن يلعب الكرة ، وهى غير مدركة لخشونة مقعد الحديقة الذى تجلس عليه . الولد له عينان كعينى رايدر . ابنها المفقود .

همست وقالت ثانية « ماتيو » .

قال لها إدراكها إنها كانت حمقاء . ما من شك أن كل من تبنى ابنها الآن تعتبره شيئا مختلفاً تماماً . وما من سبيل آخر رغم ذلك غير أن يعرفوا أن جاريث قد أخبرها ذات مرة أن ماتيو هو الاسم الذى يفضله لابنه .

يبدو الأمر غريبا الآن الاعتقاد فى أن جاريث رايدر هو الرجل الذى كان دائما مولعا جدا بالأطفال . كان مفعما بالخطط من أجل العائلة التى ستكون لديهما عندما تزوجا . لورا التى كانت فى الثامنة عشرة فقط وتخرجت من المدرسة مؤخرا ، كانت غير مهتمة بقدر كبير بالفكرة . كانا كلاهما صغيرين ، وجادلت فى أن الوقت كله لديهما للمرح معا قبل الاستقرار وبدء عائلة . مازال الأمر يراودها بمثابة شىء تهكمى عندما اكتشفت أنها حامل فى طفل جاريث ولم يكن هو يريد أن يعرف شيئا عن الطفل . كان الأمر مؤلما كما كان ، وكان عليها أن تعترف بأن

والدها كان على صواب ، فكان اهتمام جاريث فى المقام الأول هو المال الذى قد ترثه ، وليس لورا نفسها .

« أتسمحين لى » .

اخترق صوت متردد قليلا ضباب الأسف والمرارة اللذين طوقا تفكير لورا حيث مرت لحظات عديدة قبل أن تدرك أن تلك الكلمات كانت موجهة إليها . أفاقت لورا ببعض الجهد من تفكيرها فى الماضى وعادت إلى الحاضر والإحساس بصلابة مقعد الحديقة .

كانت لديها رفيقة الآن على المقعد . امرأة عجوز ممسكة بحقيبة بلاستيكية مملوءة ، حضرت ببطاقة مربعة الشكل صغيرة وهى تقول : «أظن أن هذا لابد وأن سقط منك » .

قالت لورا : « آه ، نعم » وهى تأخذ الصورة منها وهى صورة غالية بالنسبة للورا ، والتى قد تكون انزلقت منها عندما كانت تائهة فى ذكرياتها الماضية . قالت لورا وهى ممتنه امتنانا حقيقياً إلى العجوز : « أشكرك كثيرا جداً » . كيف كانت مهملة جدا حيال الصورة الغالية ؟ فهى كل ما كانت تملكه من ابنها وهى المعلومات الموثقة والمفتاح الوحيد إلى مكان وجوده .

علقت المرأة العجوز بقولها : « هذا طفل بهى الطلعة » « هل هو طفلك ؟ »

« إنه ابنى » قالت لورا برقة وكبرياء تخنقه الدموع ـ ابنها ـ والآن ليس ابنها .

ـ « أنت لا تبدين كبيرة سنا بقدر كاف لتكونى أما لمثل ذلك الولد الكبير » .

لم تستطع لورا منع الابتسامة حيال ذلك . إنها الآن فى الخامسة والعشرين وتمسك بيديها عملاً مسئولاً جداً ، إلاّ أنها ترتدى اليوم فستانا من القطن لونه أبيض بدلاً من بدلتها الرسمية ، وشعرها الأسمر المحمر الكثيف فى ضفيرة واحدة بسيطة مدلاة على ظهرها ولمسة خفيفة من الماسكارا لتؤكد عينيها السمراوين ، مما يلمح لها بأنها فى غير سنها . وهى بدون شك مسرورة من هذا الإطراء . كان

لديها وقت كاف فى الماضى القريب عندما شعرت بأنها أكبر من سنوات عمرها .

ـ « ما عمر ابنك ؟» .

ـ « خمس سنوات تقريبا . لكنه كان فى الثالثة تقريبا عندما تم التقاط هذه الصورة له » .

ـ « سيكون طويلا بالنسبة لسنه بعدئذ » .

ـ « نعم » ، مازال صوت لورا رقيقا وخيمت على عينيها الداكنتين ظلال الذكريات القديمة .

« كان والده طويلا ، يربو على ستة أقدام . يبدو أن ماتيو سوف يشبهه» .

ـ « عزيزتى ، إنى آسفة جدا » .

إن أسلوب المشاركة الوجدانية هذا أربك لورا لحظة حتى أنها أدركت أنها استخدمت بصورة طبيعية صيغة الماضى فى الإشارة إلى جاريث . لسماع صوتها بالدموع فى أول الأمر كان من الواضح أن العجوز استنتجت أنه مات . لم تحاول لورا أن توضح لها ، فجاريث مفقود بالنسبة لها الآن كما لو أنه مات حقا .

جذبت الصورة التى تمسكها عينيها مرة أخرى . نظرت طويلا وبعاطفة لصورة الطفل ، ثم رفعت رأسها . كانت هناك أمامها تقف المنازل الجورجية على شكل يشبه الدائرة بقدر ما تستطيع أن ترى فى خلفية الصورة . ولا شك فإن هذا هو المكان فعلا .

« هل تعيشين هناك فى الشارع الملكى ؟ » .

التفتت لورا إلى رفيقتها الفضولية وبدت على وجهها ابتسامة باهتة من زوايا شفتيها بالرغم من ثقل أفكارها . لقد أصبحت فى ألفة مع المنازل الرشيقة على امتداد الشارع المنحنى الملكى منذ وصولها إلى باث منذ يومين .

« لا ، أشك فى إمكانى الحصول حتى على حجرة واحدة هناك» ، قالت بصراحة .

ـ « أسعار تلك الشقق باهظة تماماً » ، وافقت المرأة العجوز على ذلك بازدراء، وأضافت « أنه من المفروض أن الناس يخطبون ود تلك الشقق ، أما أنا فلا استطيع هذا الأمر . المنازل ليست أفضل من غيرها » .

قالت العجوز : « لكنها تبدو جميلة . ومع هذا باث مليئة بمنازل جورجية لطيفة ، هذا مما رأيته » .

ـ « أفضل شقتي الحديثة اللطيفة والصغيرة ، فهي أكثر سهولة للاعتناء بها . حينئذ ، ألم تعيشي في باث ؟ » .

ـ « لا ، أنا هنا في أجازه فقط » .

ـ « هذا المكان شائع للأجازات خاصة في هذا الوقت من السنة » . كانت المرأة مسرورة لأنها وجدت أحدا لتجاذب أطراف الحديث معه كما لو أنها استقرت على هذا المقعد لأجل الدردشة . « تستطيعين بعض الأيام التحرك بالكاد إلى مركز المدينة بسبب الزائرين . أما بالنسبة للغات فلا أستطيع فهم نصف ما تقوله » .

أومأت لورا برأسها للموافقة بصورة تعاطفية . « لابد وأن هناك صعوبة جدا بالنسبة للناس المقيمين هنا » . ثم حركت موقعها على المقعد وأخذت تدلك مقعدتها التي تألمت من الجلوس . في المدة التي قضتها وهي جالسة ؟ وبدأت تصير صارمة (جادة) .

ـ « من أين أتيت ؟ » .

ـ قالت لورا : « إدينبرج » وانتظرت الرد الحتمي من العجوز .

ـ « لكنك لا تبدين أسكتلندية » .

ـ « لست اسكتلندية » . وفجأة ترامت حركة مفاجئة إلى بصرها إذ ترى لورا طفلا يجري عبر الحشائش . قفز قلبها من صدرها يقطر حزنا ثم هدأ ثانية ، إنها فتاة صغيرة التي كانت تجري . وأضافت لورا : « أنا من لندن أصلا » .

ـ « قطعت مسافة طويلة من وطنك حينذاك » .

ـ « نعم ، مسافة طويلة » . كانت هناك فسحة من الوقت عندما فكرت في أنه ما من مكان يمكن أن يكون أبعد بالقدر الكافي من وطنها بالنسبة لراحة بالها . إدينبرج وطنها الآن وستكون سعيدة تماما هناك ولو أنها ليست مع ماتيو . كانت هناك أوقات أيضا فيما بعد عندما تأسف لانتقالها بعيدا ، لكن ذلك كان في الماضي .

جالت ثانية ببصرها في صف المنازل المرتفع تلاحظ وتغض البصر عن الساكن الموسمي أو تاجر أو سيل السائحين بكاميراتهم بهدف أن يقع بصرها على أشهر المعالم في باث في الصورة . كانت تبحث فقط عن ولد معين داكن الشعر ، ولد اسمه ماتيو . أدركت طبعا أن الصورة الفوتوغرافية قد تكون مضللة ، وإنه من الممكن أنه لم يسكن في أي مكان قريب من هذا الجزء من المدينة ، وربما لم يقطن في باث على الإطلاق . لكن هذه الصورة هي كل ما لديها لأجل المثابرة بها، وهي راغبة في قضاء الثلاثة أسابيع كاملة من أجازتها الصيفية جالسة على المقعد الخشن في الحديقة لو كانت هناك أية فرصة أن يقع بصرها على طفلها .

ـ « أنت محظوظة على الأقل مع طقس أجازتك » .

ـ « نعم » .

ـ « إنه من الارتياح أن نرى الشمس ثانية بعد ربيع يبلله المطر » .

ـ « نعم » . قالت لورا ثانية دون تركيز . كان هناك طفل آخر يلعب الآن . طفل شعره داكن . « لا ، ليس هو » . هدأت لورا ثانية . فهذا الطفل صغير جدا .

ـ « حقيقة إنه يوم لطيف ، أليس كذلك ؟ » .

جذبت هذه الملحوظة بصوت المرأة انتباه لورا . عرفت الآن رغم ذلك كيف تكون وحدتها . ولا ضرر من أن تتحدث عن الطقس فترة . فهذا أفضل من جلوسها هناك وحيدة مع ذكرياتها الأليمة .

ـ قالت لورا بابتسامة وديه سريعة : « إنه يوم مثالى » ، لقد اخترت الوقت الصحيح من السنة لأجازتى ، أليس كذلك ؟

ـ « نعم ، اخترت الوقت المناسب . وعد التنبؤ هذا الصباح بأن الطقس الرائع سوف يستمر أسبوعا آخر على الأقل ، أيضا » .

ـ « ثم نعود إلى الصيف البريطانى المعتاد ، مطر وهكذا ، أليس هذا صحيحا ؟ »

ـ « أظن ذلك . هذا التفكير يوقع الكآبه فى النفس إلى حد ما ، أليس هذا ؟ لا زلنا نحتاج إلى المطر للحدائق . أنا محظوظة ، فلدى حديقة صغيرة لطيفة ولو أنى أسكن فى شقة » . تحدثت السيدتان معا عن البستنة لفترة . السيدة العجوز تحدثت على الأقل ، وجدت لورا بعض الصعوبة فى الإبقاء على نهاية المحادثة . حيث أنها عاشت حياتها فى مدينة أو أخرى فلم تكن لديها الفرصة لأن تتعلم الكثير عن الأشياء النامية .

لم تكن هناك أية إشارة عن أى طفل حتى ولو يشبه ماتيو بقدر ضئيل . حركت لورا رسغها قليلا ليتسنى لها أن تختلس نظرة على ساعتها . لم تندهش فى الحقيقة من أن تكتشف أنها ظلت جالسة هناك مدة تزيد على الأربع ساعات إلى الآن . إنها مع فترة قصيرة وقت الغداء حيث ذهبت واشترت ساندوتيشا وعلبة مشروب من دكان من الدكاكين المحلية شعرت كما لو كان هذا الوقت أطول قليلا . قد لا يخرج للعب كل يوم حتى ولو أنه يعيش بالقرب من هنا عليها أن تتحلى بالصبر . آه ، ولكن هذا أمر شاق .

قالت المرأة العجوز : « ألم أعطلك ؟» وقد لاحظت بوضوح نظرات لورا المتكررة إلى الساعة .

ـ « لا ، لست فى عجلة من أمرى ، ولن أذهب إلى مكان ما . »

ـ « إنه من دواعى المرح أن يجلس الواحد هنا ويستمتع بالشمس الساطعة ، أليس كذلك ؟»

ـ « بالتأكيد » ، حيث وافقت لورا على ذلك . لورا مع أعصابها المتوترة جدا لم تستطع إدراك دفء الشمس ورائحة الصيف فى الحشائش المهذبة التى تنشر أريجها فى الهواء . «هذا أفضل من التكدس فى مكتب طوال اليوم » .

ـ « ألم تحبي العمل فى المكتب ؟»

ـ آه ، أنا فى الحقيقة لم أقصد هذا . الأمر هو يبدو أحيانا مضيعة للوقت عند الجلوس خلف الأبواب ويفتقد أشعة الشمس والواحد يعرف أن أفضل جزء من اليوم سينتهى قبل الذهاب إلى المنزل . لكننى أستمتع فعلا بعملى ، وعسى ألا تفهمينى خطأ . فأنا السكرتيرة الشخصية للمدير الإدارى لمؤسستنا ، لذلك فالعمل متنوع وممتع . ولدى رئيس عمل مراع لحقوق ومشاعر الآخرين » .

ـ « هذا هو الفرق ، أليس كذلك ؟ »

ـ « نعم ، هذا هو الفرق » . أخبرت لورا صديقتها الجديدة شيئا عن بريان ، رئيسها ، وأثناء كلامها إنفعل صوتها بالحماس الحقيقى ثانية ، وهذا حدث لأول مرة منذ أن تحدثت عن ماتيو . كان بريان لا نجدون وزوجته صديقين فاضلين لها فى وقت كان كل ما تحتاجه للغاية فى العالم هو صديق .

كانت هناك على بعد ساعة تدق الثالثة . نظرت العجوز باندهاش . « يا إلهى ، هل الوقت متأخر هكذا ؟ ينبغى حقيقة أن أعود إلى المنزل . لقد خرجت لأحضر الطعام إلى قطتى فقط » . ربتت على حقيبتها المملوءة . «مسكينة تابيتا ستنزعج إن لم أطعمها بسرعة » .

ـ « ذلك يدعو للأسف » .

نهضت العجوز على قدميها ، تجمع الحقيبة بين ذراعيها . « إنه لشىء ظريف التحدث إليك . أتمنى أن تستمتعى ببقية أجازتك » .

ـ أشكرك .

شعور من الفتور هبط على لورا عندما وجدت نفسها وحيدة ثانية . حانت

منها لمحة خاطفة على الحشائش الممتدة أمامها ثم تجلدت فجأة . بينما كانت تتحدث فى وقت من الأوقات خرجت إمرأه شابة وطفل على عمر واسع من الحشائش الممتدة الخاصة أمام المنازل المنحنية . إنهما يلعبان هناك الآن بلهوان بكرة كبيرة زرقاء اللون بينهما . قلما كانت لورا تعى ما تفعله ، نهضت ببطىء وعيناها مثبتان دون أن تطرفا على الشكل النحيل للطفل .

شعرت بوخز صدرها المؤلم وبدأت تتنفس بصعوبة . كان الطفل فى عمر طفلها بالتأكيد وكان شعره كثيفا بنيا داكنا يتدلى على عينيه وهو يجرى . كان بعيدا عنها بدرجة كبيرة لأن تتأكد أنه هو نفس الطفل الذى فى الصورة .

لمحة أخرى خاطفة منها فى الصورة حيث انطبعت فى ذهنها بحيث لا يمكن طمسها . ثم أنحت الصورة جانبا . وضعت حقيبتها على كتفها وهى تتدلى منه وبدأت تتحرك عبر الحشائش تجاه المنطقة وتبذل قصارى جهدها لتظهر طبيعية ، بيد أن طرف كل عصب فى جسمها يرتجف مع التوتر غير المحتمل تقريبا .

اكتشفت الحشائش الخاصة بالسكان ، هى تقترب بصورة أكبر وأنها على مستوى أعلى من الحديقة العامة . تفصل بينهما مسافة عمودية طولها أربعة أقدام : لم يكن هناك طريق سهل ليمكنها عبور هذا الحاجز دون أن تجذب أى انتباه غير مرغوب فيه إليها . وقفت هناك لحظة وهى محبطة وتستطيع سماع ضحك الطفل وهو يجرى وراء الكرة إلا أن الحاجز يمنعها من الإقتراب بقدر كاف لرؤيته بوضوح . تم استجابة دعائها عندما أسقط الطفل الكرة وتدحرجت على المنحدر المغطى بالحشائش بسرعة وتقفز فوق الحائط لتسقط عند قدمى لورا .

انحنت لورا وأمسكت بها لحظة . ثم اعتدلت ببطء وهى تشجع نفسها على تحمل استياء آخر فى مشوار بحثها عن طفلها . عندما مالت برأسها نظرت مباشرة إلى وجه الطفل الواقف فى مستوى يعلوها . هذا القرب مكنها من رؤية مدى ما

أخرجته أشعة الشمس الساطعة من أضواء حمراء من شعره البنى أكثر حمرة من شعرها . لكنها تلك العينين اللتين جذبتا إنتباهها مثلما فعلتا فى الصورة . العينان واسعتان وزرقتهما شديدة ورموش طويلة داكنة ، إنهما كعينى جاريث بوضوح . وجهه هو صورة من وجه أبيه ، حتى الشق الأجوف فى الذقن « نشكرك لإمساكك كرتنا . لقد وفرت علينا ركضا طويلا » .

مع التغير النفسى العميق سحبت لورا عينيها من الفحص التواق لوجه الطفل لتنظر إلى المتحدث . إنها المرأة التى كانت مع الولد تلعب . إنها بخصلات شعرها التى يداعبها الهواء وعينيها الواسعتين الرمادية اللون والإبتسامة العريضة والواضعة كانت تبدو أصغر من لورا نفسها ؛ ربما لم تكن أكثر من العشرين ربيعا . هل من الممكن أن تكون هذه هى المرأة التى تبنت طفلها ؟ هذا التفكير أرجف لورا تماما .

قالت لورا للفتاة الشابه بصورة تلقائية : « أهلا » . ثم ألقت بالكرة للفتاة حيث أمسكتها .

لكنها لم تستطع إبعاد عينيها عن وجه الطفل . إنه بالتأكيد ما من شك فيمن يكون الطفل حقيقة ، بهاتين العينين وذلك الوجه .

قالت الفتاة الشابة للطفل : « قل ، أشكرك ـ ماتيو» .

إزداد نبض لورا فى القفز لدرجة أنها صارت نصف مخنوقة . ماتيو ! لم يكن لديها أية فكرة إمكانية مرور ماتيو بهذا إلا أنها شعرت بأنه من المؤكد أن هذا لم يكن سوى مصادفة . تبدد آخر شك دون أن يلحظه ذهنها . هذا هو ابنها .

قال الولد بأدب جم : « أشكرك » استجابة لطلب مرافقته . لكنه لم يبد أية إبتسامة . ظل وجهه جامدا وهو ينظر إلى المرأة التى هى غريبة عنه .

« هيا معك ، إذن » ، قالت الفتاة وهى تضع يدها بحنان على كتف الصغير . « إنه وقت العودة إلى المنزل . أنت فى حاجة إلى أن تغتسل وتمشط شعرك

قبل أن نفكر فى الشاى » .

عادت المرأة والطفل معا وبدآ المسير عبر الحشائش . وضع الطفل يده فى يد مرافقته وهو واثق أثناء عودتها ويسير بجوارها يتجاذب أطراف الحديث بمرح . سمعت لورا صوته الضعيف ولم يعد يتسنى لها أن تفهم الكلمات .

وقفت لورا هناك تراقبهما حتى عبرا الطريق واختفيا داخل أحد المنازل . تأكدت من أنها يمكن أن تتذكر المنزل ولاحظت بابه الأمامى مدهونا باللون الأبيض والسيارة الجاجوار بلونها الأزرق الغامض رابضة خارج المنزل . تبعتهما لورا عدة دقائق وفحصت رقم المنزل .

مهتزة من رد فعل اللقاء القصير جدا برمته إلا أن لورا كانت تعى ما تقوم به وهى تاركة ذلك المنزل وراءها تمشى ببطء عائدة فى الطريق الطويل . هكذا شاهدت إبنها ، وتحدثت معه بسرعة . كان هذا هو كل ما تصبو إليه عندما جاءت أول مرة إلى باث ، والأمل إلى حد ما يحدوها أكثر من اعتقادها فى أوقات أخرى أن بحثها ميئوس منه . والآن اكتشفت أن هذا ليس بالقدر الكافى . أرادت أن تتمكن من الحديث معه بصورة ملائمة لتعرفة ولتشاهد ذلك الوجه الصغير الجامد دافئا بابتسامة لها لوحدها ، مع أن الجزء المنطقى من ذهنها أخبرها بأن ذلك ببساطة غير ممكن . تم تبنى إبنها منذ خمس سنوات قبل أن يكبر مع غرباء ، ولم يعرف أبدا والديه الحقيقيين . ما من سبيل يمكن به تمزيق ذلك الآن ، وليس من أجل رغبتها الأنانية ، بالضبط .

لم يلعب التفكير العقلانى أى دور فى الحافز الذى جعلها تعود ثانية لتقف مرة أخرى خارج المنزل ببابه الأمامى الأبيض اللون . لم تكن حتى نفسها متأكدة مما تنوى عمله وهى تنظر إلى مجموعة أجراس الباب الثلاثة . لاحظت فى وقت وتلقائيا أن المنزل الكبير لابد وأنه تحول إلى شقق وعيناها تفحصان الإسم على البطاقة الموجودة بجانب كل جرس . إسم من الأسماء بدى واضحا لها وهو ج .

رايدر . دق قلبها مرحا ثم بدأ يدق بسرعة . لا ، ليس هذا ممكنا .

حيث أن قلبها مملوء بهاجس غامض فأدارت لورا جسمها لتهم بالذهاب عندما انفتح الباب خلفها فجأة . تجمدت لورا فى مكانها وذهنها يحثها على الرحيل إلا أن ساقيها يرفضان الإذعان لها . إنه نفس ذلك الهاجس ، إلا أنه صار قويا الآن ، مما جعل شعرها خلف رأسها يخزها : حتى أنها قبل أن تنظر حولها عرفت ما سوف تراه . رجلاً وسيماً ، عريض المنكبين ، وملامح وجهه الواضحة كانت صارمة فى حذر غير ودى ، حيث أن الدفء والظرف الذى يشع بهجة قد نضبا من عينيه الزرقاوين الضاربتين إلى الخضرة .

قالت لورا بصوت خافت مكبوت : « جاريث » .

الفصل الثانى

« ماذا تفعلين هنا ؟ » .

كان صوته أجشاً ومفاجئاً مثيرا للبغض الكثير الذى لا يدخل السرور على أعصاب لورا . لا يوحى إطلاقا بالأطمئنان ، وهو صوت رجالى رنان يلازم أحيانا أحلامها . الصوت والتعبير على حد سواء لا ينبان عن الترحيب .

لم تغتظ لورا بسهولة . إلا أنها الآن رغم عدم قدرتها على الكلام حاولت أن تتكلم ولم تخرج كلمة من فمها . شعرت بوضوح أنها فاقدة صوابها تماما . لو كان هناك أى نوع من أنواع التحذير المسبق ـ أخذت لورا تفكر فى هذا وهى مذهولة . ولقد استعدت لتلقى بالناس الذين قد تبنوا إبنها ولم تكن لتحلم بأنه من المحتمل أن تواجه الرجل الذى أحبته ذات مرة بعاطفة مشبوبة وجها لوجه . الرجل الذى حملت منه ثم هجرها .

تخللت يد جاريث شعره الداكن ، إيماءه قديمة عن نفاد صبره والتى تتذكرها جيدا من الماضى .

ـ « ماذا تريدين ؟ » .

ـ « شاهدت ماتيو » ، قالت لورا دون تفكير ، وهذا لم تكن تقصد قوله أبدا ، مما جعلها غير مندهشة جدا لترى نظرة تتعمق فى العيون الزرقاء .

ـ « أى اهتمام بالطفل يمكن أن تكنيه له بعد هذا الوقت الطويل ؟ » سألها جاريث بتشكك .

كانت لورا تحب دائما طول جاريث ، والطريقة التى تشعر بها أنها صغيرة وأنثى بجانبه . حتى تلك اللحظة التى لم تكن تدرك تماما فيها كم يبدو مثيرا للخوف وهو يعلوها برأسه وكتفيه . « إنى أبحث عنه » ، إستطاعت أن تقول ذلك بهدوء كاف .

ـ « لماذا ؟ ماذا تريدين من إبنى ؟ »

ـ « إبنك ؟ » إن قسوة ذلك أخذت تنفس لورا . « إنه طفلى » .

أيا كان رد جاريث الذى سينطق به وكأنما هو رد ساخر إلا أن أحدا ظهر مما أخذ الرد لحسن الحظ .

ـ « مساء الخير ، ياسين رايدر » ، قال صوت نسائى خلف لورا .

تعبيره الصارم خف من حدته مما يدعو للعجب « مسز ستيفنز » ، وقال بابتسامة خفيفة : « كيف حالك ؟ » .

إنتهزت لورا الفرصة لتتراجع بضع خطوات مما صارت هناك مسافة بينها وبين جاريث وتتيح لنفسها الفرصة فى نفس الوقت لتنظر إلى المرأة التى وصلت إلى المكان فى الوقت المناسب . لابد وأنها جارته ، قررت هذا لورا وهى تسمع معظم محادثتهما دون أن تخرج منها بمعنى حقيقى .

ـ « بخير ، وكيف حال ماتيو ؟ » .

ـ « بصحة جيدة كالمعتاد . وآمل ألا يقوم بالتخبيط على سقف شقتك ثانية؟» .

ضحكت المرأة بسجية طيبة . « لا ، ويجب أن تلاحظ هذا . إنه ولد صغير صالح حقيقة . ومعظم الأيام لا أعرف حتى أنه موجود هناك فى الشقة » .

ولو أن لورا تتضور جوعا لأية معلومة عن طفلها إلا أنها تعى اللمحات الفضولية العديدة التى ترمقها بها المرأة بينما كانت تتحدث . لاحظ جاريث بوضوح جذب الإنتباه الذى أحدثته لأنه بمجرد أن إختفت جارته فى المنزل دعا

لورا للصعود معه .

ـ « من الأفضل أن تأتى إلى الداخل . هذا أمر لا أريد مناقشته حقيقة وأنت واقفة على عتبة الباب » .

كانت الدعوة من النوع الضنين على أقصى تقدير إلا أن لورا لم تفكر فى رفض الدعوة . صعدت معه درجات السلم معه ورأسها متثاقلة من الصدمات التى تلقتها منذ ساعة ، ودخلا غرفة ذات سقف مرتفع ممتد مملوءة بأشعة شمس بعد الظهر . لم تسنح لها الفرصة لتتفحص ما يحيط بها بأى صورة تفصيلية بعدما أغلق الباب خلفها مباشرة التفت إليها جاريث ليحدثها بعنف .

ـ « والآن » قال جاريث بصوت لا يسمح بمزيد من التهرب . « أخبرينى بما تفعلين حقا فى باث » .

وقفت لورا أمامه برباطة جأش أكثر مما كانت تشعر به حقيقة . إنها من نغمة صوته الصادر من فمه الرائع ، الذى يعلو ذقنه التى بها تجويف ، إتضح لها أنه تذكر كل ما حدث بينهما فى الماضى ولم ينس شيئا . إن شعورها بالذنب حيال فقدها إبنها فعل التعليل ليزيد من ثقتها إلا أنها أجبرت نفسها على أن تجيب سؤاله بصورة هادئة . وقالت : « أنا هنا فى أجازة » .

ضحك جاريث . لكن صوته كان خشنا بدون أثر لظرفه القديم . « عليك أن تقومى بما هو أفضل من ذلك . لم تكن باث هى فكرتك لقضاء الأجازة . إنى أعرفك جيدا ، أم أنك قد نسيت هذا ؟ كنت دائما تطلبين مكانا حارا ومشمسا وأنيقاً » .

« حسن ، لا أستطيع أن أعرض عليك أماكن مثل تلك الآن . ليس بالنسبة لمرتبى » . رفع جاريث حاجبه الداكن بسخرية وقال : « هل لديك وظيفة ؟ » لم يحاول إخفاء التشكك فى صوته .

ـ « نعم ، لدى عمل » .

« لا أستطيع تصور مدى نجاحك فيه ، إذا كانت حياتك الإجتماعية أقرب بالإنشغال كما هى فى المعتاد . حسن ، دعينا من ذلك للحظة . لذلك جئت إلى باث فى أجازة مصادفة لتصل إلى الشارع المنحنى لرؤية ماتيو تعقبه إلى منزله . ألا تعتقدين أن كل ذلك أكثر مما يكون مصادفة يا عزيزتى ؟ »

وجلت لورا من استخدامه الملاطفة البادية على شفتية بازدراء أكثر من أنها تهكمية . أجبرت لورا نفسها على إجابة جاريث بهدوء وعقلانية . هذا هو أحد أفضل المشاهد فى البلدة . ماذا يكون أكثر طبيعية من أننى قررت المجىء إلى هنا لأرى المكان بنفسى ؟ » .

« لا أستطيع فجأة أن أراك تنمين عمق اهتمامك بالعمارة الجورجية . ليس هذا أسلوبك على الأطلاق » .

ـ « كيف يمكن أن تكون متأكدا جدا هكذا ؟ ألم تفكر فى أننى ربما أكون قد تغيرت ، بعد كل هذا الوقت ؟ » .

رمقتها العينان الزرقاوتان بنظرة طويلة تقييمية حيث أنهما يستوعبان كل تفصيل عن مظهرها . « أنت تبدين مختلفة بالتأكيد . كما تذكر ، إنك اعتدت دائما إرتداء الملابس الفخمة . فماذا حدث ـ هل تعب والدك من دفع كل الفواتير؟ » .

شعرت لورا بالغضب يتأجج بداخلها . حقيقة إنها لم تعد قادرة على شراء الملابس الباهظة ، وذهب كل ما ادخرته فى البحث المستمر عن إبنها المفقود . ولو أن دولاب ملابسها الآن محدود إلا أنها مازالت ترتدى ملابس آخر موضة ، وهى تعرف أن مظهرها لم يسمح بنقده لها . كانت تملك زمام نفسها طوال سنوات الماضى حيث استحوذت على الغضب الذى كان يقفز على شفتيها . المعرفة الوحيدة التى لم تتسنى لها لأجل الدخول فى مناقشة مع جاريث حول هذه النقطة منعتها من فقدان السيطرة على طبعها تماما .

إبتسامة باهتة ساخرة ظهرت على فمه وهو يراقبها . « أرى أنك فهمت كيف تسيطرين على طبعك قليلا . »

ـ « أخبرتك بأنى قد تغيرت » .

ـ « أشك فى أن التغييرات لم تكن أكثر من تغييرات سطحية . هيا بنا ودعينا نقف على حقيقة الأمر . حضرت إلى باث بسبب ماتيو ، أليس كذلك ؟ » .

ـ « نعم » .

ـ « لماذا ؟ » .

هز سؤاله لورا للحظة ، والإجابة بدت واضحة جدا بالنسبة لها . « لأن ماتيو هو إبنى . ولأنى أريد رؤيته لأتأكد بنفسى من أن معاملته تتم بصورة حسنة وأنه سعيد » .

ـ « والآن فعلت كل هذا . فيمكنك العودة إلى منزلك » .

ـ « لكن هل يمكننى رؤيته أولاً بصورة مناسبة ؟ » .

ـ « لا » .

نغمة صوته تشير بوضوح جدا أن المتكلم ليس من السهل إقناعه ، ولكن لورا كان عليها المحاولة .

ـ « جاريث ، لم أشاهد إبنى منذ يوم ولادته . كل ما أطلبه الآن هو فرصة لأقول له أهلا يا ماتيو ، وأتحدث معه لبضع دقائق . لا أكثر من هذا . أعدك » . منشادتها العاطفية لم تجلب أى نعومة فى تعبيره المتحجر . « لماذا هذا الإهتمام المفاجىء بالطفل بعد كل تلك السنوات ؟ » إستفسر بملحوظة ماكرة فى صوته مما جعل لورا متبرمة بشدة . « ألم يقرر جيمس أن الحفيد يمكن أن يكون مصدر قوة برغم كل شىء ؟ » .

ـ « هذا ليس له علاقة بوالدى » . ولم تستطع لورا سماع حدتها فى صوتها وأخذت نفساً عميقا قبل أن تواصل حديثها . « ماتيو هو إبنى . فإنه من

الطبيعى أن أريد رؤيته الآن بعدما عثرت عليه أخيراً » .

ـ « بعد خمس سنوات ؟ ألم تتركى مشاعر الأمومة هذه من مدة طويلة ؟ »

ـ « حتى اليوم لم تكن لدى أية فكرة عن مكان وجوده ومن أخذه . منذ بضعة إسابيع فقط اكتشفت أنه ربما يعيش فى باث » .

انقض جاريث بقوله عليها بصورة قاسية جدا مما جعلها تتراجع خطوة . « لا ، طبعا أنت لم تعرفى . ولا أهتم بأنك أو والدك تكتشفان أين يكون ، وإنما اهتم فقط فى حالة أن يغير أى منكما رأيه بشأن طلب إعادته » .

ـ « لكنى أردت دائما ماتيو » .

ـ « حينئذ لماذا تخليت عنه ليتم تبنيه ؟ » .

بدت الكلمات معلقة بينهما ، قاسية غير ودية ، فى جو حالم دافىء . إنها بالنظر إلى تعبير جاريث القاتم عرفت لورا أنه حاكمها فعلا وأدانها . أيا كان دفاعها فلم يغير من الأمر شيئا إلا قليلا . وكان عليها أن تحاول . « لم أتخل عن طفلنا أبدا ، حيث بدأت الكلام باعتدال بقدر كاف . جاريث لو تركتنى أحاول وأفسر . . . . . » .

ـ « إبنى كان مهيئاً للتبنى فى نفس اليوم الذى تمت ولادته » . الصوت العنيد طغى على محاولتها للتفسير دون اعتذار واستمر فى إتهامها : « ما من محاولة تمت لتركى أعرف حتى أن لى إبنا . لن استطيع أن أغفر لك هذا أبدا . سواء أنت أو والدك . آهـ ، نعم ، ويمكننى تخمين من المسئول فى الحقيقة ، وبالطبع ، لكن ذلك لن يسهل الأمور لفهمها » .

رغم استمرار لورا فى تحمل عبء الذنب لتلك الملحمة الرهيبة برمتها لم تقوى على جمع المزيد من المبررات . عرفت أن صوتها نم عن هزيمتها بالفعل حيث قالت : « لم أرد أن أفقد طفلى أبدا . طوال الوقت أبحث عنه دون أن أعرف حتى إن كان لا يزال على قيد الحياة أم غير ذلك . والآن حيث عثرت عليه أخيرا نتوقع

www.elromancia.com

منى الرحيل » . واستدارت على كعبيها لتتجنب مواجهته . خطت خطوتين عشوائيتين عبر الغرفة غير عابئة بأين هى ذاهبة لأن تفكيرها الوحيد أن لا يجب أن تدعه يراها تبكى .

ـ « لورا » . والغضب واضح تماما فى صوته . لكن هناك أيضا بعض العاطفة المحددة . قليلا لم تكن لورا فى حالة تمكنها من التعرف عليها . « أعوذ بالله من بلاهتك . يا لورا ، « لا تبدئى البكاء » .

ـ « لا أبكى » . وتنفست بسخط .

رغم الإتهامات القاسية التى ألقاها بها كان آخر شىء توقعته فى تلك اللحظة هى أن تشعر بذراعى جاريث حولها . لم تستطع الصمود أمام غضبه ـ كانت رقة لمسته غير المتوقعة هى الحل . لم تعد تستطيع وقف دموعها وحولت وجهها عشوائيا إلى طرف كتفه ، وهى تكبت تشنجاتها فى ياقة جاكتته .

إنتهت العاصفة بسرعة . وحيث أن تشنجاتها خفتت بدأت مشاعر أخرى تدريجيا تمس شعورها . دفء جسمه القوى تشعر به وهى تستند إليه . النهكة النفاذة لبعد الحلاقة فى أنفها ، مما أحيا العواطف القديمة التى فكرت فيها طويلا منذ أن خبت . لم تعد تبكى ولكنها لم تحرر نفسها منه مباشرة حيث كان ذراعاه حولها . لا ضرر من أن تكون بين ذراعيه للحظة أخرى وتعيش فى البهجة التى نسيتها تقريباً . وتذكرت كل شىء فعله هذا الرجل بالنسبة لها فاعتدلت على الفور . فتركها دون تعليق .

قالت : « أنا آسفه » ، وأخذت تبحث فى جيبها عن منديل وتمخطت . « لم أكن أقصد فى الحقيقة أن أكون سخيفة . أظن أن الأمر بسبب الصدمات الكثيرة جدا التى أتت معاً . »

أومأ جاريث برأسه فقط . كان تعبيره محايدا الآن دون أن يفشى أى شىء من مشاعره .

ـ « أتحبين فنجان قهوة ؟ » .

ـ « أشكرك . نعم أود » .

ـ « دقيقة واحدة » .

خلع جاكتته ووضعها فوق الكرسى وفك رباط عنقه وخرج من الحجرة وأغلق الباب قليلا وراءه . سمعت لورا من الصالة رنين التليفون ثم صوت عميق يتكلم حيث يشرح للطرف الآخر سبب تأخيره عن لقائه . تحركت عن عمد عبر الحجرة لكى تسترق المحادثة ، حياة جاريث الخاصة لم تكن من شأنها هذه الأيام .

كانت لديها الفرصة بخروجه من الحجرة أن تفعل شيئا حول مظهرها . أخرجت مشطاً ومرآة وقلم روج من حقيبتها وقامت بتعديلات فى وجهها وشعرها . ابتسمت وهى تنظر فى المرآة إبتسامه قليلة . ولا عجب أن جاريث قد قال إنها بدت مختلفة . الدموع والجهد لم تؤثر فى مظهرها ، لا تستطيع الظهور أقل من رشيقة ، وفتاة شابة مفعمة بالحيوية كما كانت أول مرة عرف بعضهما البعض .

ذكرت نفسها ثانية بأنه ما من فائدة فى البدء فى إحياء الذكريات الأليمة من الماضى . ستحتاج إلى كل فطنتها إذا كانت قادرة على إقناع هذا الرجل الماكر الشكاك بأن يدعها ترى طفلها . وحولت انتباهها لتفحص ما حولها .

لديها متسع من الوقت الآن لإدراك أن الحجرة جميلة . مازالت تحتوى على الكثير من الملامح الجورجية الأصيلة وأعمال الجص فى السقف والأبواب التى عليها رسومات ومكان المدفئة من الرخام الرائع حيث يتصل كل ذلك بفخامة الماضى . كانت هناك عدة قطع جيدة من الأثاث التى يرجع إلى ذلك العهد . إنه من الواضح أن جاريث يتدبر أمره جيدا . ثم ابتسمت لورا فجأة ابتسامة خفيفة تماما .

لاحظت التناقص فى الرسومات الطفولية التى فوق المكتب ومجموعة من

السيارات اللعب للأطفال غير منظمة تحته . ماتيو . وجاريث . ماذا يفعل جاريث بإبنها ؟ ثم كانت هناك الفتاة التى شاهدتها فيما سبق فى الحديقة تلعب مع الطفل أين تهيأت لكل هذا ؟ لا غرو فى أن أعصابها ممزقة .

تحركت لورا نحو النافذة ووقفت تنظر خارجها ، دون أن ترى أى شىء حقيقة من منظر الأشجار والمنازل والأماكن الخضراء العالية البعيدة . ركزت على البحث عن نوع من الصفاء الداخلى . كان هذا غير ممكن تحت هذه الظروف إلا أنه عندما عاد جاريث إلى الحجرة كانت لورا قادرة على الالتفاف لتواجهه برباطة جأش .

فترة الاستراحة تلك أعطت جاريث بوضوح فرصة ليسترجع هدوءه أيضا . كان مضيفا رائعا وأجلسها على مقعد بذراعين مريح وصب لها القهوة ووضعها على منضدة مناسبة بجانبها .

ـ « أشكرك » .

أخذت لورا رشفة من القهوة وشعرت ببهجة جعلتها تتذكر كم هى تحبها . حملقت من فوق حافة الفنجان عبر الحجرة فى جاريث . دون أن تعترف حقيقة لنفسها بأنها مهتمة ، فنجحت فى مجاراتها لشئونه أثناء السنوات الماضية . مثل كاتب قصص ناجح تحولت الثلاث قصص الأولى له إلى ثلاثة أفلام ناجحة نجاحا يتساوى مع نجاحها كقصص ، وصار ضيفاً معروفا فى حلقات الحديث التليفزيونية . لكن هذه هى المرة الأولى تشاهده شخصيا . إنه كما هو مثلما تتذكره ـ بل مختلف جدا . كان دائما رجلاً مؤثراً بطوله ومنكبيه العريضين . إلا أنه كان فى الماضى يعمد إلى إهمال مظهره وسعيداً بقدر كاف بأن يعيش بالجينز الرخيص والقمصان بينما يعمل فى كتبه . الآن ترى أن ملابسه ، وإن كانت بالموديل المعتاد، من أفخم الأنوار. ويبدو أنه صار مؤلف القصص الثرى .

سأل وهو يتوجه إليها فجأة . « هل أعجبتك القهوة؟» .

كانت خجله تقريبا ومحرجة من حملقته فيها . رغم أنه من التأكيد والطبيعى أن تشعر ببعض الإهتمام الشخصى بهذا الرجل الذى هو والد طفلها وكان زوجها .

ـ أومأت برأسها . « نعم ، إنها رائعة ، أشكرك » .

ظنت لحظة أنه سيقوم بإلقاء ملاحظة أخرى . إلا أنه بدا أنه إنغمس فى أفكار أيا كانت تشغل ذهنه ، حيث كان يحرك قليلا باقى نصف فنجان القهوة وهو شارد الذهن . استمرت لورا فى فحصها بعيونها له .

هناك خطوط رائعة حول عينيه وفمه وهى أكثر من المتوقع فى رجل يبلغ الواحدة والثلاثين فقط . بضع شعيرات فضية يمكن رؤيتها على صدغيه مما يزيد من تميز لوجهه الوسيم . يبدو رجلا يعرف نفسه جيدا ، ويعرف المكان الذى ينتمى إليه فى العالم .

ـ « أنت ناجح هذه الأيام » قالت لورا بوضوح وبصوت عال ، وجاءت الملاحظة من أفكارها .

نظر جاريث إلى أعلى نظرة خفيفة من الإندهاش المرتسم على وجهه . ذهنه من الواضح أنه كان محلقا بعيدا فى أجواء مختلفة جدا عن أجوائها . « أعمل جيدا وبقدر كاف» ، أقر بذلك متواضعا . ثم ظهرت ومضة فى عينيه . « لم أتوقع أنك مهتمة بعملى كثيرا » .

ـ « إنه من الصعب تجاهل نجاحاتك » ، أجابت بهدوء واعتدلت قليلا لتضع فنجانها الفارغ على المنضدة . « يبدو أن أسمك يظهر دائما فى المجلات وعلى شاشة التليفزيون » .

ورأت أنه ما من سبب لتخبره بأنها تلتهم كل كلمه وإن صغرت من كلمات تلك المقالات فى تلك المجلات . «هل أنت قائم بعمل كتاب آخر ؟ »

ـ « أشار ناحية المكتب الذى عليه كومات مرتبة من الأوراق والمراجع منسقة

الكلمات ، تحتها استديو ماثيو للوحات . « لقد انتهيت من المسودة الأولى » .

ـ « وهل هذا الكتاب سيتحول إلى فيلم أيضا ؟ » .

ـ « ربما . فأنا لدى عرضان غير نهائيين فعلاً » .

ابتسمت لورا إليه ، دون أن تعى أن تعبيرها كئيب فى تلك اللحظة . « أنا مسرورة لنجاح أعمالك » . قالت لورا بحرارة . « أعلم مدى أهمية ذلك لك ، النجاح ككاتب . والآن حققته . أنا فخورة جدا بك يا جاريث » .

إحمرت وجنتاه قليلا وقال : « أشكرك » .

لأول مرة فى ذلك الوقت لم يكن هناك أى أثر للشك أو العداء فى نظرته التى استقرت على وجهها . نظرا إلى بعضهما البعض لحظة طويلة وشعرت لورا بأن نبضها بدأ فى الإسراع كما أن كل ذكريات الماضى تحركت دون قيود فى ذهنها ، ذكريات وجودهما معا ذات مرة قبل أن تبدأ فى الإتجاه الخاطىء . كان من الممكن أن تبكى لرؤيتها هذه الحركة الساخرة الجديدة تعود إلى فمه .

ـ « للأسف لم تشعرى بتلك الطريقة لعملى فى الماضى . قال جاريث .

خمنت لورا أنه كان يحاول نخسها ، وتأكد تخمينها عندما رأت بريق الدهشة فى عينيه وهى تهز رأسها فقط كموافقة هادئة على كلماته .

ـ « نعم ، أنا أعرف . كنت صغيرة جدا . لم أقدر حقيقة ما كان يجب علىّ حتى فات الوقت »

بدأ جاريث مرة أنه غير قادر على التفكير فى شىء ليقوله مما أدهش لورا . لم تتذكر أن رأته متحيرا على الإطلاق من قبل بالنسبة للكلمات . وأخيرا غمغم قليلا وقال : « حينئذ ، ماذا كنت تفعلين ؟ »

ـ « أكسب عيشى » .

ـ « آهـ ، نعم . لقد كنت تقولين شيئا فيما سبق عن عمل . ماذا تعملين ؟ »

إن نغمة صوته أوحت إلى لورا أنه كان يجرى محادثة لا غير ، لدرجة أنه توقع

إجابتها أن تكون قابلة للتنبؤ . لاحت ابتسامة خافتة على شفتيها وهى تقول : «أنا المساعدة الشخصية للمدير الإدارى لمؤسسة تقطير الويسكى » .

كانت مسرورة لرؤية أنها نجحت فى حرمان جاريث من الكلام للمرة الثانية لمدة دقائق عديدة .

كرر جاريث قوله : « تقطير الويسكى » وهو مازال ينظر إليها وهو مذهول . « مهما تفعلين فى هذا المكان ، فإنك لا تستطيعين تحمل العمل » .

ـ « أنا أعمل هناك فقط . لا أشرب الويسكى » .

ـ ضبط جاريث رأسه بيده كما لو أنه يحاول توضيح أفكاره . « تصورت أنك تعملين فى قاعة فنون ، أو فى بوتيك فى سوق راق إذا كنت محتاجة فعلا للعمل . لكن بالله ما الذى جعلك تختارين تقطير الويسكى ؟ ليس هذا أسلوبك على الإطلاق » .

ـ « لم تكن هناك كمية من الإختيار عندما كنت أتصيد عملاً » قالت لورا وتغير استمتاعها بذكريات ذلك الوقت وكانت ذكريات رهيبة . « لم يكن لدى الكثير من المؤهلات عندما بدأت ، كما تتذكر ، لذا كان يجب أن أقبل العمل الذى وجدته » .

ـ « سألها جاريث : « لكن لماذا هذه الرغبة الملحة لأن تعملى ؟ ، لم أفكر أبدا فى أنك إمرأة عمل » .

ـ « نظرت إليه لورا وقالت : « ربما لم تعرفنى مثلما تظن؟ » وهى تنوه بذلك .

ـ قال : « لا » وعيناه الزرقاوتان تحملق فى عينيها للحظة . « أنا لم أظن ذلك » وظل جاريث يحملق فيها إلى أن قال أيضا : « فأين إذن تعملين ؟ » .

ـ « إدنبرج » .

ـ « هذا يبدو اختيارا غريبا قمت به ، لم تستطيعى إنتقاء مكان أكثر بعدا عن موطنك وعائلتك عندما حاولت . ولماذا إدنبرج دون كل الأماكن ؟ » .

ـ « لأننى لم أرد العيش فى المنزل بعد ذلك . أريد أن أكون مستقلة » .

ـ « حقيقى ؟ » .

رأت لورا أن جاريث بدا أكثر تشككا وكان رد فعلها تلقائيا حيث قالت : «أنت لا تظن أننى قادرة على إدارة حياتى الخاصة ، هل تظن ذلك ؟ » .

ـ « صراحة لا أستطيع رؤية والدك يسمح لك بالمحاولة » .

ـ « والدى مات » .

دام الصمت مدة طويلة هذه المرة . قال جاريث : «أنا آسفه . متى حدث ذلك » .

ـ « منذ عامين الآن » .

نظر إليها حيث وجد يدها اليسرى خالية من الخواتم حيث قال ببطء : «حينئذ الآن أنت لابد وأنك إمرأة شابة غنية حقاً . « وأندهش من أنك لم تتزوجى ـ فإن شباب إدنبرج لابد وأنهم يقفون صفا لخطبتك » .

اعتدلت لورا فى كرسيها . وقالت بصوت غير متردد : « حقيقة لا أرى ذلك من شأنك » .

ـ « لا » ، قالها بسرعة وأضاف : أنت محقه بالطبع . إن ما تفعلينه بحياتك لا يعنى على الإطلاق» . إنه فى الهدوء المفاجىء الذى تلا كلماته ، أصوات ضحك طفل أمكن سماعها من مكان ما فى الشقة .

ـ قالت لورا « إنه سعيد جدا » .

ـ أشار جاريث برأسه وقال : إنى أفعل ما فى وسعى لأعطيه طفولة طبيعية مطمئنة .

ـ لقد أخذته منذ أن كان رضيعاً ؟

ـ « نعم » .

ـ « وقمت بتربيته بمفردك ؟» .

ـ « بمساعدة من أليسون » .

ـ « أليسون ؟» لابد وأنها المرأة الشابة التى شاهدتها من قبل ـ صغيرة وبالأحرى لطيفة ـ شعرها أشقر ؟ لم تستطيع لورا كتمان الغيرة التى زحفت عليها وشعرت بها فى صوتها . من كانت هذه المرأة الشابة التى لها علاقة وثيقة مثل هذه مع طفلها ؟ ومع جاريث ؟

خمنت لورا من نظرة جاريث التى رمقها بها أنه لاحظ وفهم العاطفة التى تمزقها . لكنه قال فقط : « نعم ، أليسون مربيته » .

أجتاحتها موجة من الراحة مما جعلت مخاوفها فجأة تبدو سخيفة . « يبدو أنها على وفاق جيد مع ماتيو » .

ـ « نعم . كنا محظوظين لأننا عثرنا عليها . إن لها مواصفات عالية ، والأهم من ذلك أن ماتيو يحبها . ولسوء الحظ كان الأمر يتوجب علىّ أن أكون خارج المنزل أكثر مما أحب » .

ـ قالتْ لورا : « ظللت تراقب ابنه وهو يكبر منذ أن كان رضيعا » . كان صوتها يرتعش قليلا حيث أضافت : « إنى أحسدك يا جاريث » .

ـ « هل فعلا تحسدينني ؟ » وكان وجهه لا ينم عن أى تعبير ، ذلك الوجه الذى عرفته لورا ذات مرة جيدا ، ولاحظت زمة شفتيه قليلا .

ـ « نعم ، أحسدك » . متبثة بها قد سيقولة . وأضافت : « كانت لدى فرصتى وفقدتها . لا يمكنك معرفة مدى أسفى إزاء ذلك » .

لم يرد على ذلك ، لكن لورا استطاعت إستقراء إدانته لها فى عينيه .

ـ « لو تتركنى أشرح لك فقط ما حدث حقيقة » قالت لورا بحزن وهى تعرف أنه لن يسمع .

ـ « أعرف ما حدث . لا » أضاف هذا بسرعة وهى تهم بقول شىء آخر حيث قال : « لا أرى سببا للخوض فى هذا الموضوع ثانية وثانية . أيا كان بيننا فى

www.elromancia.com

الماضى قد انقضى الآن . إن المرارة القديمة كلها من الأفضل تركها مدفونه وفى طى النسيان » .

نهض واقفا واتجه ناحية الباب مشيراً إلى أن وقت رحيلها قد حان .

وقفت لورا أيضا ولفت أصابعها حول شريط حقيبتها المدلاة من كتفها ، وقالت ببطء : « سأمكث فى باث لمدة أسبوعين آخرين . أأستطيع ـ هل من الممكن بالنسبة لى أن أرى ماتيو قبل أن أرحل ؟ لأقول له : أهلا ، ولا أكثر من هذا . وهو ليس بحاجة ليعرف من أنا » .

ـ « لا » .

ـ « جاريث ـ ! » وكبتت فورة الغضب ، وأجبرت نفسها على أن تتكلم بهدوء ومنطقيا . « أستطيع أن أرى كم هو عمل كبير قمت به فى تربيته ، ولن أحلم بعمل أى شىء لفصم العروة التى بينكما ، يجب أن تصدقنى : أريد فقط أن أرى طفلى . فأنا أمه » .

ـ « لا ! » هذه القوة المفاجئة للكلمة الواحدة أسكتتها . وحملق جاريث فيها حيث لمعت عيناه بالغضب والازدراء . « أنت غير ملائمة لأن تدعى نفسك أم ماتيو . قد قمت بولادته إلا أن هذا لا يعطى لك أية حقوق تلقائية فى حياته المستقبلية . الأم هى التى تريد وتحب طفلها ، هى التى تكون مستعدة لأن تضحى من أجله وتضع إحتياجاته فى المقام الأول قبل احتياجاتها . تخليت عن أية حقوق قد كانت لك فى مستقبل ماتيو عندما تركته للتبنى » .

اعتدلت لورا فى وقفتها . « إذا كانت تلك هى الطريقة التى تشعر بها ، حينئذ لا مجال فى تأخيرك أكثر من هذا . » سارت ناحية الباب لتجد وسيلة لاستنشاق بعض الهواء رغم مشاعرها الثائرة . « إلى اللقاء يا جاريث » .

ـ « لورا » . ترددت لحظة وكان على وشك النية ليقول شيئا آخر ثم غير رأيه . « سأسير إلى الباب الأمامى » .

ألتزمت لورا الصمت وهى تهبط معه درجات السلم . لم يكن هناك شىء لقوله وخمنت لو أنها فتحت فمها الآن لقالت شيئا من الإعتذار . ومضت معه حتى سمعت الباب الأمامى الضخم يتم إغلاقه وراءها قبل حتى أن تصل إلى الممر . وصوت إغلاق الباب زاد من إحساساتها بقطع كل علاقات الماضى بينها وإبنها .

تملكها الغضب وهى تسير بعيدا عن الشقة . رفعت رأسها عاليا واعتدلت فى مشيتها حتى لو حدث ونظر إليها جاريث لم يشعر بالرضا من أنه أساء إليها ، ومضت فى سيرها باعتدال إلى أن وصلت الفندق الذى تنزل فيه وذلك قبل أن يبدأ رد الفعل .

جلست على حافة السرير بهدوء بينما قلبها يسرع فى ضرباته وأرجلها تهتز تحملق بعينين لا تريان حتى ورق الحائط . ذهنها مجهد وعواطفها فى حالة فوضى لرؤية جاريث بعد تلك المدة الطويلة . شعرت بالغضب من رفضه إقترابها من إبنها بأى شكل كان ، والذى تحبه حبا جما قبل أى شىء آخر . وقد تحققت من أنها وجدت جاريث نفسه جذاباً كما هو على الدوام .

كان هناك أحد الوجوه من مشاعرها لم تعتن بأن تفكر فيه بصفة وثيقة أيضا . إنه حبها لجاريث رايدر ذات مرة من كل قلبها ، إلا أن ذلك الحب تحول إلى كراهية عندما تركها ، وتركها دون زواج وهى حامل . مر الوقت وتحملت ألم خيانته وقامت تدريجيا ببناء حياة جديدة لنفسها . لم يكن ذلك بالأمر السهل . وقد حققت إستقلالاً مالياً وعاطفياً . ووجدت نوعا هادئا من القناعة والإطمئنان . الحب والكراهية بعدا عنها بعيدا منذ زمن . إنه من الصعب ، بعد كل هذا الوقت ، بعد كل ما حدث أن تصدق أن الجذب الجسدى باقٍ بقوة كما هو .

أدركت أنها ترتجف . كان الوقت مساء ـ منتصف يونيو ـ ومع هذا شعرت ببرودة وتحس بصدمة . ليس هناك سخان فى حجرة نومها فى الفندق الرخيص لذا تدثرت بالغطاء جيدا ووضعته حول كتفيها . حاولت إحياء الغضب وهى فى سريرها والذى كانت تشعر به لكى تدفىء نفسها ويكون بمثابة دفاع من الأفكار الناعمة والتى تحن إلى الماضى والتى تتدفق فى ذهنها . وبدت المحاولة غير ناجحة .

عرفت فجأة أنها لو جلست فى الغرفة للحظة أطول فسوف تغوص فى مستنقع الأسف والأسى النفسى . دفعت بالغطاء جانبا وانزلت رجليها من السرير تبحث بأصابع رجليها عن وجود حذائها . مشطت شعرها وأمسكت جاكتتها وحقيبتها ونزلت مسرعة .

سارت لمدة طويلة دون هدف محدد فى ذهنها . وبقدر ما مشيته من مسافة فلم تستطع أن تنجو من الذكريات المحتشدة فى ذهنها .

كانت أمسية صيفية مثل تلك التى قابلت فيها جاريث أول مرة . كانت آنذاك فى الثامنة عشر وتخرجت من المدرسة حديثا وتشغلها فكرة الحصول على عمل بينما هى مطمئنة بأنها لا تهتم ، حيث كان والدها يدفع لها ما يغطى أكثر من احتياجاتها . إنها بالرغم من كل المميزات إلا أنها تبرمت ، تبرمت من أسلوب حياتها الذى لا هدف له ، تبرمت من الشباب الملتفين حولها . لم تكن تعرف حقيقة ما تريد ـ إلى أن رأت جاريث .

لقد تقابلا فى حديقة بالقرب من النهر جرينويتش ـ مكان يتردد عليه كل الأصدقاء فى ذلك الوقت . لم تعرف على الإطلاق من أتى به إلى هناك ، فلم يكن أحد الجمع المعتاد ، لكنه واحد يبتسم مع لمحة من عينيه الزرقاوين بشدة أنهت الأمر . كان الجذب متبادلا بين الإثنين . تقابلا كل مساء بعد ذلك بمفردهما معا

بصفة خاصة ، فى عالم صغير خاص بهما . طلب جاريث منها الزواج بعد شهر من اللقاء الأول ووافقت لورا دون لحظة تردد .

بدأت المشاكل عندما لم يوافق والد لورا بشدة على جاريث . رجل فى الخامسة والعشرين يجب وفق عقيدة جيمس بديان فى الحياه أن يكون له عمل مستمر وموارد ماليه مأمونه فى المستقبل . لم يكن لدى جاريث ذلك . إن ما كان لدى جاريث هو اعتقاده الشديد بموهبته ككاتب . وحيث أن لورا متأكدة كما هو متأكد من أنه سوف ينجح أن تنتهى قصته وتتم الموافقة عليها ، فقد وافقت تماما بهذه الحالة من الأمور . أراد جيمس بريان ، أراد أفضل الأشياء لإبنته الوحيدة . حيث أنه مقتنع بأن الكاتب الشاب المفلس عادة كان مهتما بلورا لما لها لذا رفض موافقته على الزواج .

عبثا حاول جاريث توضيح أن لورا فى الثامنة عشر وقادرة بموجب القانون أن تتزوج ما يحلو لها دون موافقة العائلة . طوال حياتها كانت معتادة على أن تطيع والدها الإستبدادى ومن ثم كانت تنقصها الشجاعة لتقف وتتحداه صراحة . بدأت لأول مرة تتشاجر مع جاريث . اقترح جاريث أخيرا أن يهربا معا ويتزوجا فى سرية فى جرينتا جرين . هذه الفكره الرومانتيكية لاقت قبولا لدى لورا ، ومن ثم تمت الموافقة عليها . ولأنها كبرت وصارت أعقل فابتسمت كما لو تذكرت إثارة تلك الأيام . فالأمر مزيج من الشمل العاطفى مع هزة غير عادية من معرفة أنها خالفت والدها وقد تكون أول مرة فى حياتها .

تم وضع كل الخطط . تقرر يوم للزواج السرى . ثم اكتشف جيمس بريان ما كان يحدث ، إستدعى ابنته أمامه وأخبرها أنها إذا هربت مع جاريث فإنها لن يحصلا على أى مال منه . وسوف تفهم فى وقت قريب ما سبب اهتمام الرجل بها .

بكت لورا واحتجت وجادلت لكنها فى النهاية فعلت ما رغب فيه والدها .

مكثت بالمنزل . علمت أن جاريث سيثور لكنها لم تشك مطلقا فى أنها تستطيع جعله يفهم سبب تصرفها هكذا ، واقناعه بإعطائها المزيد من الوقت . كانت قادرة دائما على ملاطفة جاريث ليفعل أى شىء تريده . ما عدا أنها لم تره ثانية .

ثم اكتشفت أنها حامل .

حتى الآن تجد لورا أن الأمر مؤلم لتتذكر أحداث الشهور التى أعقبت ذلك . ولم يكن هناك سبب بالتأكيد لإحياء كل تلك الذكريات الأليمة الماضية ثانية . كما قال جاريث لنفسه ، كل شىء إنتهى منذ زمن مضى والأفضل نسيانه الآن .

نظرت حولها وهى تلقى بكل أفكارا لماضى بشدة خلفها . ثم أدركت أنها مشيت طويلا عبر المدينة . حقيقة وصلت بالقرب جدا من شقة جاريث ثانية حيث تصورت أن ذلك ربما يكون أكثر من مصادفة بسيطة .

وصلت إلى أنفها رائحة الثوم والعشب مما ذكرتها فجأة بأنها لم تأكل منذ ساندويتش الغذاء . رأت أنها توقفت فى مواجهة أشهر مطاعم المدينة ، تفوح من الباب المفتوح روائح الطعام اللذيذ ، مما يدعو إلى اشتهائه . شعرت أنه من المحتمل أن تكون من الأفضل لو تناولت بعض العشاء . ولكنه ليس فى مطعم محدد . هناك محل هامبورجر فى وسط المدينة الذى يتلائم مع ميزانيتها الحالية بصورة أفضل .

حملقت لورا آسفة فى الأضواء القادمة من المطعم لتنتشر فى الممر . ربما يكون الأمر ضاراً ، الإنفاق على وجبة مقبولة . ثم إن فكرة الطعام كلها تبددت من ذهنها لرؤيتها جاريث وهو يقترب من باب المطعم . لم يكن بمفرده حيث كانت إمرأة شعرها أسود وفارعة تسير بجواره . ومن الطريقة الودية فى حديثهما وضح أنهما صديقان قديمان . وبدا أن جاريث كوالد غير متزوج لم يسمح بهذا أن يفسد حياته الاجتماعية .

الفصل الثالث

إستغرقت لورا فى النوم إلى الصباح التالى منهكة من الجيشان العاطفى التى مرت به فى اليوم السابق . تخلفت عن طعام الإفطار نتيجة لذلك . كانت التعليمات صارمة فى ذلك الفندق الصغير ـ لا يتم تقديم طعام أو شراب خارج الساعات المعلنة . لم تعبأ بذلك كثيرا ، لم تكن لديها شهية على أية حال .

إنها فى محاولة جادة لرفع روحها المعنوية إرتدت فستانا ظريفا أصفر اللون صيفياً وخرجت من الفندق لاستكشاف باث . قلما كانت تشاهد شيئا من المدينة حتى الآن كانت عازمة على البحث عن ماتيو منذ وصولها . وجدت نفسها مشدودة إلى كوبرى يولتينى الذى يضم على جانبيه دكاكين رقيقة ، وشوارع جورجية رائعة وممرات ضيقة خلف الشوارع الرئيسية حيث يمكن للواحد أن يشترى أشياء صغيرة ظريفة كالحليات وأشياء جيدة للأكل . لم تستغرق طويلا لتقرر أن تعليق جاريث الماكر بأن باث لم تكن هى قصدها لقضاء الأجازة جانبه الصواب تماماً . فلقد أحبت المكان . فكرت فى أنه من الأفضل لو كان لديها رفيق ليشاركها بهجتها فى الاستكشاف ـ ثم قررت أن تلقى بهذا الحلم من ورائها . أن تفعل ما هو رائع بنفسها .

بدأت قدماها تتعبان . وبدت فكرة جيدة وهى أن تجلس فى مقهى فترة تطل على الفناء الأمامى لكنيسة حيث أعدوا المناضد والكراسى فى خارج المقهى فى

أشعة الشمس الصباحية . يمكنها الاسترخاء لفترة ، مع فنجان قهوة وكعكة لتعويض طعام إفطارها المفقود . لو أن طابور السائحين المنتظر لمشاهدة الحمامات الرومانية يقل لفكرت فى أنها ربما ذهبت إلى هناك لمشاهدة المكان قبل طعام الغداء .

يكون من دواعى السرور الجلوس هناك فى أشعة الشمس الدافئة ومشاهدة السائحين يغدون ويروحون فى طريقهم لزيارة الكنيسة أو الحمامات أو غرفة المضخة . هكذا يكون الأمر بالنسبة للورا لو كانت قادرة على كبت أفكارها الثائرة من التعويل على أحداث بعد الظهر الماضى . لازالت نفس الأسئلة تكرر نفسها فى ذهنها . لماذا أخذ جاريث واحتفظ بماتيو وأخذه وهو رضيع بينما لم يرد أن يعرف شيئا عن حملها ؟ كيف عثر على الطفل بالرغم من فرض السرية على كل شىء بالنسبة له ؟

هل سيتركها ترى ماتيو ثانية ؟

إن حمية تفكيرها فيه ، الأمر الذى استحضر صورته الجسدية . لمحت لورا فى تلك اللحظة جاريث نفسه يسير فى إتجاهها مرتديا الجينز وقميصاً أبيض بدون ربطة عنق . ارتعش جسمها مباشرة . علمت أن مثل هذا يحدث أحيانا فى مدينة صغيرة مثل باث وحتما طرقهما تلتقى عاجلاً أم آجلا . إلا أنها لم تتوقع أن يحدث ذلك بهذه السرعة . ولم تكن مشاعرها حيا له فى حالة مكشوفة . إلا أنها لا تستطيع لقاءه هذا الصباح .

سرعان ما دفعت مقعدها إلى الخلف ووقفت وألقت بنظرة حولها . ربما لم يلحظها بعد ؛ كانت هناك مجموعة من السائحين اليابانيين ملتفين حول مرشدهم فى فناء الكنيسة يحيلون بين نظره ومناضد القهوة . سمحت لورا أن تغوص فى الحشد وعبرت الميدان معهم وعبرت طريقا على الطرف البعيد . حينئذ استطاعت فقط أن تسترخى وتشعر بالأمان من المتابعة .

بدأت تنظر حولها ولاحظت علامات على الجدران مما جعلها تدرك أنها وصلت إلى مدخل الحمامات الرومانية . بحثت فى حقيبتها عن فكة نقدية واشترت تذكرة . ثم دخلت إلى المتحف .

كان المكان يعج بالجمهور . عدد منه بجنسيات مختلفة يتحركون وينظرون إلى الكنوز فى أماكن العرض يعبرون عن استحسان جمال الحمامات الذى مازال محفوظا . حاولت لورا أن تمتع نفسها بكل ما تراه إلا أنا اضطربت من لقائها مع جاريث الذى حاولت تجنبه ووجدت أنه من الصعب التركيز . كانت تنظر من فوق كتفها إلى الخلف بين الفينة والفينة كما لو أنها كانت تتأكد من عدم متابعتها . عندما أدركت ما تفعله تضايقت من نفسها بسبب تشككها . ما كان هناك سبب للإعتقاد بأن جاريث قد رآها مما يفترض معه أنه يريد مطاردتها . وقد أوضح تماما أمس أنه لا شأن له بها .

جاست خلال المتحف وهى شاردة حيث وصلت إلى مكان مفتوح واسع وهادىء بالمقارنة بالمكان المحتشد الذى تركته لتوها . كان عبارة عن بركة عريضة بمياه خضراء عميقة يحيط بها من الجوانب الأربعة سطح مرصوف . أبطأت لورا مشيتها ثم توقفت تماما لتستطيع أن ترى حولها جيدا . جذب انتباهها السلام الذى يسود الذى لا شىء مثله .

تملكها شعور مفاجىء بالضجر . وبدأت تندهش مما تفعله فتدور حولها دون هدف . جلست على حجر يصلح للراحة على حافة البركة وسندت ظهرها على أحد الأعمدة وأرجعت قدميها لتتيح الطريق أمام المارة . حيث أنها جلست لتحملق فى الكتل المائية التى ترتفع فى البحيرة بدأ التوتر يخف تدريجيا من جسمها وتقل سرعة التنفس . وخفتت أصوات الأمريكيين والألمان واليابانيين والإنجليز إلى أن وصلت الأطراف البعيدة من وعيها .

إعترفت بأنها تصرفت كحمقاء . إنه من المؤكد ، أنه من الأفضل البقاء حيث هى وتقابل جاريث بشىء من الكرامة . الهرب من المتاعب لم يكن الحل على الاطلاق ، وينبغى عليها أن تكون قد تعلمت الكثير على الأقل مما حدث لها فى الماضى .

كان هناك صوت عميق يتكلم خلفها ردد من تفكيرها حيث قال جاريث : « لازلت تهربين من مواقف لا تستطيعين التعامل معها ، أدرك ذلك » .

نظرت إليه لورا وهى واضعة يدها على عينيها لتحجب أشعة الشمس عنهما . وفجأة إمتلأت بفيض غير متوقع وغير منطقى من السعادة ، لأنه تتبعها . كانت سعيدة لرؤيته ثانية ، أيا كانت الظروف .

هذا الشعور الجارف الجديد أعطاها الشجاعة التى إحتاجتها لتجيب على سؤاله بأمانة حيث قالت : « نعم ، كنت أحاول تجنب لقائك . كانت مواجهتنا الأخيرة مؤلمة بالنسبة لى ، ولا أشعر بالاستعداد لأن تجرنى إلى مواجهة أخرى بسرعة جداً » .

ـ « قال : « آسف لذلك . لقد فوجئت برؤيتك أمس لدرجة أنى لم أفكر تفكيرا واضحا جدا على الإطلاق فيما قلته لك . لم أقصد إيذاءك ، رغم ذلك » .

جلس بجوارها ووضع يديه على ركبتيه . جلس يحملق مثلها عبر ضوء الشمس على الماء . لم يتكلم أى منهما للحظات عديدة .

ثم قال جاريث ببطء : « لا ، ليس ذلك حقيقة . كنت أريد إيذاءك . فإن رؤيتك ثانيه أحيت كمية من الذكريات الأليمة جدا ، وأعتقد أنه كان لدى فكرة عن إيذائك مثلما تم إيذائى . كان ذلك رد فعل طفولى ، وأعتذر لك » .

ـ « أظن أننا ربما قلنا أشياء لم نقصدها فعلا . كانت صدمة بالنسبة لى أيضا ، أنت تعلم ذلك . كنت آخر شخص توقعت رؤيته عندما تم فتح ذلك الباب » .

ـ « ألم تعرفى أنى أسكن فى باث ؟ » .

ـ « لا . »

شرح لها الأمر بقدر كاف وقال : « والدتى إنتقلت إلى هنا عندما تقاعدت من وظيفتها فى الخدمة الوطنية . أحبت دائما هذه المدينة وكان لها صديقات هنا . وبدا أنه من الأفضل بالنسبة لماتيو وأنا لنأتى ونعيش بالقرب منها . هذا يعطيه على الأقل ما هو أكثر من عائلة طبيعية » .

ـ « فهمت . لقد افترضت أنك لازلت تعيش فى لندن ، رغم أنى عرفت أنك تركت الشقة » .

ـ قال : « هل ذهبت إلى الشقة » ؟

ـ « نعم » .

ـ « لماذا ؟ »

هزت كتفيها خفيفا وقالت : « لأنى أردت رؤيتك . لم تقم بالرد على الخطابات أو الإتصالات الهاتفية ، لذا لم أستطع التفكير فى أى طريقة أخرى للإتصال . لكنك رحلت وما من أحد يعرف أين ذهبت » .

ـ قال باختصار : « لم أكن أريد البقاء هناك » .

ـ « فهمت » .

ـ « وأنت لم تحاول أبدا العثور علىّ ثانيه بعد ذلك ؟ »

ـ « لم أكن متأكدة من أننى أردت ذلك حقيقة . » وكانت لورا غير ناظرة إليه . « لم يكن لدى أدنى فكرة أنك أخذت ماتيو » .

ـ « لم أظن أنك كنت مهتمة ، فى تلك الظروف » .

إن ما يؤلمها أنها أدركت أن ما من شىء تغير حقيقة منذ أمس . إن موقف

جاريث الأكثر إسترخاءً ذلك الصباح جعلها تأمل فى أنهما ربما يكونا قادرين على إصلاح الشقاق بينهما جزئيا على الأقل .

لكنه قال ثانيه بعد ذلك : « أنا آسف » . ونظر إليها لحظة وأضاف : «صدقينى ، لم أتبعك إلى هنا فقط لأبدأ معك محادثة أخرى » .

كانت تريد أن تسأله لماذا تبعها لكنها كانت خائفة من أن لا تعجبها الإجابة . إنه من الواضح أن السبب لم يكن أنه مازال يكن لها مشاعر شخصية ، وهذا ما أوضحه تماما فى اليوم السابق . ربما أراد الرد على بعض من الأسئلة ، كما هى تريد . إنه من الحمق أن ترغب فى أنه ربما هناك سبب آخر .

كلمات جاريث التالية أكدت شكوكها . « لماذا لم تدعينى أعرف أنك كنت حاملاً ؟» سألها بحدة .

ـ « فعلت . حررت لك خطاباً » .

بدا مأخوذا بالرد ، رغم أنه لم يتوقع أبدا سماعه . « لم أتلق أى خطاب » . نظرة عينيه إليها كانت تحمل الشك . « متى كتبت لى » .

ـ « بمجرد أن عرفت أن هناك طفلا » .

ـ « صحيح ؟ »

إن ما اتضح من نغمته المتشككة أنه لم يكن مقتنعا تماماً بعدم وجود مثل ذلك الخطاب . شعرت لورا بشىء من الغضب الماضى والمرارة التى تتحرك داخلها ـ مما ظن فى قدرتها على الكذب بشأن ذلك الأمر . .

ـ ثارت لورا : « طبعا ، وماذا تتوقع أيضا ؟ هل تعتقد أن ذلك الأمر غير هام جدا بأن أهتم بأن أدعك تعرف عنه ؟ » .

حملق جاريث إليها . « طوال تلك السنوات ، إفترضت أنك تكتشف حمل طفلى كأمر غير هام » .

« لم تخبرنى أبدا أنك حامل . وأنك تخلصت من الطفل فى أول فرصة » .

ـ « ليس هذا حقيقى ! »

ـ « لم أتلق أى خطاب منك » . مازال صوت وتعبير جاريث متشددين قاسيين .

ـ كانت رأس لورا تدور . « إن لم تتلق خطابى ، حينئذ كيف عرفت بشأن ماتيو ؟ » سألته لورا وأضافت : « نجح والدى فى جعل الأمر برمته فى طى الكتمان ولم تعرف أقرب صديقاتى شيئا عن الحمل » .

ـ قال : « كيلى أخبرتنى » .

كانت مسز كيلى مديرة منزل جيمس بريان لأكثر من عشرين سنة . مخلصة له وكانت تكن دائما بشىء من اللين فى قلبها بالنسبة للكاتب الشاب الوسيم الذى أرادت ابنة بريان الزواج منه . استطاعت لورا أن تتذكر مدى حيرة كيلى عندما بات واضحا أنها وجاريث قد افترقا للصالح . كيلى لم تصدق أبدا أن جاريث كان يسعى وراء مال لورا إلا أنها لم تكن قادرة على إدراك تفسير مقنع لسبب هجرها . كيلى المسكينة كانت لديها مشاكلها الخاصة ذلك العام ـ كانت شقيقتها مريضة وتتغيب عن المنزل لرعايتها . لو أن كيلى كانت بالمنزل لربما انعطفت الأمور منعطفا مختلفا ـ صوت جاريث العميق الحاد تحطم على صخرة أفكارها وتبددت مثل أوراق الخريف .

ـ « ظنت كيلى أنه كان لى الحق فى معرفة أى شىء عن طفلى ولو أنك ووالدك لم تريا الأمر مناسباً لإخبارى عن وجوده . »

ـ « أخبرتك بأنى كتبت لك عن الطفل » .

ـ « والمفروض أن أصدق هذا ؟ »

ـ رددت لورا : « صدق ما تحب تصديقه . إنها الحقيقة » .

www.elromancia.com

ـ « النوع الخاص بك من الحقيقة ، ربما . مثل تلك الوعود التى وعدتنى بها ذات مرة ؟ » .

كل إعلانات الحب والتأكيدات بأنك تريدين الزواج منى . لكن كل ذلك كذب ، أليس ذلك ؟ »

ـ « لو أن أى أحد حنث فى وعوده فإنه أنت بالتأكيد » . إنفجرت لورا بصوت حاد بحنق ظنت أنه إنقضى منذ وقت طويل .

لم يخف جاريث إزدراءه فى قوله : « إنى افترض أن والدك هو الذى علمك التفكير » .

حملقت لورا تماما فى وجه جاريث وجرؤت على نفى الإتهام ، ثم رمقها بنظره . بدا حتميا أن يخوضا فى شجارات أخرى كما فى الأسابيع النهائية فى علاقتهما السابقة .

ـ قال جاريث : « حدث هذا منذ زمن طويل . يبدو أن هناك غرضا بسيطا من إشعال الأحقاد القديمة مرة ثانية الآن » .

ـ « لا » قالت لورا بسرعة .

أقرت لورا أنه من الحمق معاداة جاريث ، أرادت رؤية ماتيو ثانية . رغم أن ذلك لم يكن هو السبب الوحيد فى أن تعض بالنواجز على كل أحزان الماضى التى طغت فوق السطح دون توقع . لابد من وجود طريقة أفضل للاتصال بين اثنين ناضجين .

ـ « هل كيلى عزمت أنك ستتبنى ماتيو ؟ » سألته لورا هذا السؤال لتخفف حدة الإشتعال .

ـ « نعم . عرفت كل الترتيبات » .

ـ « قالت لورا : « أحبت دائما الأطفال . لا أنسى مطلقاً كم كانت طيبة معى عندما كنت صغيرة بعدما توفيت والدتى . وكانت تحب ماتيو » .

« وكانت راغبة فى المغامرة بعملها للتأكد من أن له منزلا جيدا . كانت تحضر لرؤيتنا مرة لتعرف أننا على ما يرام معا . إشترت دبا كبيرا لماتيو . قالت إنها سوف تأتى ثانية لكننا لم نسمع عنها شيئا مرة ثانية » .

ـ حملقت لورا فيه بحزن وقالت : « لم تعرف ، بعد ؟ »

ـ « أعرف ماذا ؟ »

ـ « كيلى ماتت بعد شهرين من مولد ماتيو » .

حملقت عينا جاريث بشىء من الصدمة وقال : « لم يكن لدى أى فكرة . ماذا حدث ؟ »

ـ « أصيبت بتوبة قلبية » .

ـ « لم أعرف أبدا أنها مريضة بالقلب » .

ـ « لا أحد يعرف ، ولا الطبيب . انتهى الأمر سريعا جدا ـ لم يكن هناك شىء بوسع أى أحد أن يفعله من أجلها » .

إنتعشت الذكريات القديمة من خلال محادثتها . كيلى كانت تعتنى بها عندما كانت فتاة صغيرة وساعدتها خلال السنوات الصعبة كلها وهى تكبر تدريجيا ، فمازالت لورا حزينة عليها بمثابة الأم الحقيقية التى عرفتها دائما .

إقترب جاريث منها وغطى يديها بيديه ، وقال : « أنا آسف يالورا . أعرف كم أحببتها . لابد وأنها كانت صدمة مرعبة بالنسبة لك » .

كانت يداه الكبيرتان اللتان تغطيان يديها دافئتين جدا ومريحتين . كانت لورا تحملق فيهما طويلا تاركة لمسة العاطفية تهدىء من بعض الألم الذى كانت تشعر

به ، ثم رفعت وجهها لتنظر فى وجه جاريث . للحظة بدت السنوات المفقودة وكأنها عادت حيث كانا ينظران إلى بعضها البعض دون أثر للعداء من أى الطرفين وقد قرب الألم المتبادل من بعضهما البعض لأجل صديقة عجوز .

ظهر جاريث متعبا ، وهذا ما اكتشفته لورا بنفسها . فكانت هناك ظلال تحت عينيه الزرقاوين التى لم تتذكر أن شاهدتها فى اليوم السابق ، والخطوط الرقيقة فى الزوايا أكثر وضوحا . اندهشت لمدة بسيطة مما لو كان لديه مشكلة فى النوم أثناء الليلة الماضية مثلما عانت من عدم النوم أيضا .

ابتسمت إليه وقالت : « إنه لشىء غريب هذا اللقاء ثانية » .

ـ « نعم . » ونظر إليها فى تأمل . وقال : « إعتدت دائما التفكير فيما لو أقابلك ثانية ، ما أردت أفضل مَن أن أعصر رقبتك الصغيرة الجميلة » . وابتسم لبتسامه تتذكرها لورا جيدا . « والآن من الغريب لا أريد أن أدق عنقك ، وبدلاً من ذلك وجدت نفسى أتذكر الأوقات الجميلة التى قضيناها معا . فكان بيننا شىء خاص ذات مرة ، أليس كذلك يا لورا ؟ » .

أو مأت لورا برأسها بالموافقة . ولم تنس استخدامه صيغة الماضى فى وصف علاقتهما .

ـ « نعم ، كان بيننا شىء » .

ـ « كان من المؤسف أن ينتهى هكذا » .

ـ « نعم » .

نظرت لورا بعيدا تحملق فى موجات مياه البركة . لم تعد تنظر إليه ، وهى تعى لأى حركة يقوم بها وكل نفس يتنفسه . فهى ذات مرة أحبته كثيرا جدا . وتكشف الآن كم يتثبت الحب .

نهضت على قدميها منفعلة وغير قادرة لأن تبقى لحظة أخرى ، وقالت : « لنخرج من هنا » .

كان جاريث يضع رجلا على رجل فاعتدل ووقف ببطء جدا وابتسم إليها بتسامح مفاجىء .

ـ « كنت دائما فتاة غير مستقرة ، تريدين دائما التنقل إلى مكان ما ، وتريدين فعل أى شىء جديد » .

ـ « احتجت لورا قائلة : « لست بسيئة الآن » ، وابتسمت دون رغبتها معترفة بحقيقة أنها كانت سيئة .

ـ « هذا حسن لأنى هنا الآن ولا أنوى ضياع ثمن تذكرة الدخول » .

ـ « عما تتحدث ؟ »

ـ « هل شاهدت الحمامات جيدا ؟ »

ـ « حسن ، شاهدت جزءاً من المتحف ، هذا كل ما فى الأمر » .

ـ « هل تعتقدين أننى أعيش فى باث لما يزيد عن أربع سنوات الآن ، ولم أحضر إلى هنا من قبل ؟ إن الأنقاض الرومانية لا تروق حقيقة لماتيو فى مثل سنه . لكنى أشعر أنها مسألة زمن لأكتشف ما تقدمه المدينة لسائحيها » .

ـ « لكننا لسنا بسائحين » .

ـ « لا » . قالها مزمجرا ، وكانت لورا على وشك النهوض . « يبدو أننى أتذكرك تخبرنى أنك هنا فى أجازة . وأدركت أنه من المؤكد أنك لا تستطيعين قضاء الأجازة فى باث دون رؤية الحمامات الرومانية . هيا بنا ـ سنراها معاً » .

كانت الفكرة مجنونة بالنسبة للورا . اقترح جاريث بالتظاهر بأنهما زوج من السائحين فى جولة لمشاهدة المعالم . وهل من السهل أن ينسيا كل الألم والمرارة التى كانت بينهما ؟

www.elromancia.com

تحول الأمر إلى أفضل مما تستطيع أن تتصور . أصر جاريث على شراء دليل للسياحة والقيام بما يشير إليه بصورة لائقة ، وقضى الإثنان ما يقرب من ساعة يتجولان . والتوتر الذى شكل حاجزا خافيا بينهما تحلل تدريجيا ويكتشفان اهتماما مشتركا جديدا . نظر معا إلى الأعماق الخضراء الخافية للمياه العميقة لبرك الحمام يتفحصان بقايا أنظمة التدفئة القديمة وغرف التغيير . وقاما بمقارنة ما يرونه بالرسومات الموجودة بالدليل ، واتفقا على تجنب أى ذكر لخلافاتهما الشخصية إلا أنه مازال هناك الكثير للحديث عنه . ونسيت لورا أنهما غير سائحين حيث يتظاهران أنهما كذلك .

هذه الجولة الشاملة أدت بهم إلى حجرة صغيرة مظلمة جدا أسفل مستوى الشارع . كانت الحرارة تنبعث من باطن الأرض ورائحة الكبريت القوية . نظرت لورا إلى الينبوع وفكرت كيف يدفع بماء غير منقطع طوال كل تلك القرون وفجأة اشتمت رائحة الأمن فجأة . وفكرت أنه لو أمكن إحضار كل أطفال المدارس إلى هذا المكان حينئذ تكون دروس التاريخ ذات معنى حقيقى ، والتفتت لتتقاسم هذه النظرة الجديدة مع جاريث .

توارت الكلمات خلف شفتيها عندما رأت كيف ينظر إليها حيث نظرات عينيه الزرقاوين الحارقة تنصب على وجهها . وشعرت باندفاع الدفء يسرى فى جسمها لا صلة له بحرارة البخار فى الحجرة المغلقة . وتأرجحت لورا ناحية ورأت يده تمتد نحوها ولم تكن متأكدة مما إذا كان ليقيها من السقوط أو جذبها قريبا منه . ربما يحدث أى شىء فى تلك اللحظة .

ثم انفتح الباب خلفهما فجأة . إمتلأت الحجرة الصغيرة بالضوء الساطع والهواء البارد ـ وبحشد من السائحين الذين أبدو الإستعجاب من الينبوع المتدفق ماءه .

استقرت ذراع جاريث على كتفى لورا وكانت بمثابة حماية من الناس المندفعين حولهم .

ـ وقال : « هل نذهب ؟»

ـ « نعم » .

لم يتحدث أى منهما إلى أن خرجا إلى الفناء الخارجى من الكنيسة ثانية . كانت لورا سعيدة من السكون حيث أدركت أنها من المحتمل أن لا يتبقى وقت مع جاريث فحاولت أفضل الطرق لطرح موضوع رؤيتها ماتيو ثانية دون إفساد التناغم الهش الجديد بينهما . نظر جاريث إلى ساعته مندهشا وقال : « لم أكن أعرف أن الوقت متأخر جداً . هناك كمية أخرى من الأنقاض الرومانية أكثر مما تصورت .»

ـ « نعم . » وافقت لورا على ذلك . ونظرت إلى ساعتها واندهشت أيضا . «ماذا حدث للوقت ؟ » وقالت وهى عاقدة العزم : « جاريث لابد أن أتحدث إليك » .

ـ « نعم ؟ حسن ، ما رأيك فى المناقشة على الغذاء ؟ لا أعرف رأيك ولكننى جوعان » .

كان ذلك هو آخر شىء تتوقع أن يقوله ، وأجابت دون توقف عن التفكير : « أتضور جوعا » . كانت هذه هى الحقيقة ولدهشتها أنها كانت قد فقدت شهيتها فى الآونة الأخيرة . وضحك جاريث وقال : « لدى ما يمكن أن نفعله حيال ذلك » . أعرف مكانا بالقرب من هنا حيث يمكننا تناول بعض الساندوتشات ومشروب .

ـ « هذا يناسبنى جدا » .

أحيت كلماته المزيد من ذكريات الماضى ، وهى ذكريات تفضل أن تنساها .

حيث علمها والدها أن لا تقبل إلا أفضل الأشياء فى الحياة مما جعلها تذهب إلى المطاعم الباهظة التى كانت تفوق كاتباً شاباً يشق طريقه . كان من المؤلم تذكر الأنانية ، والفتاة الشابة الفاسدة حيث عرفت الآن نفسها أنها كانت هكذا .

ربما شعر جاريث أيضا بالأسف حيال مشاكلها الماضية لأن ملاحظته كانت حميدة تماما .

ـ « هل أعجبتك باث ؟ »

تقبلت لورا تغيير الموضوع بارتياح . « لم أشاهد الكثير من المكان بعد » . حيث أشارت بابتهاج وشرعا فى البحث عن مكان لتناول الغداء . « وهى تبدو بلدة جميلة » .

ـ « أنا وماتيو نحب العيش هنا . أنا سعيد لأننى اتخذت القرار بالذهاب بعيدا عن لندن . »

ـ « من السهل الخروج إلى الريف من هنا . وتبدو المرتفعات قريبة جدا من المدينة من حولها كلها » .

ـ « نعم ، وهذه منحة . وليست بعيدة عن البحر أيضا ، وماتيو يحب ذلك » .

ـ « أنا متأكدة من أنه يحب ذلك » .

ـ « بالتأكيد لا أستطيع تصور أننا ننتقل ثانية فى المستقبل القريب . هذا الموقع يناسبنا . وحقيقة إنى أبحث فى إمكانيات عمل كتابى التالى فى باث . هذا سيوفر كمية من الترحال بالنسبة لى » .

ـ نظرت لورا إليه وقالت : « لا أظن أن طراز الرومانسيات فى خط كتبك » .

وضحك جاريث واحتج قائلا : « هل أنت رقيقة المشاعر . لم يكن ذلك فى ذهنى على الإطلاق ، مثلما أنا متأكد من أنك تعرفين ذلك » .

ابتسمت لورا مستمتعة بلحظة دفء ورقة . « أظن أن ذلك نوع الكتاب الذى يقرأه معظم الناس فى باث . أعتقد أنه نوع محترم . لذا أى نوع من الرواية يمكن إرساء أساسياتها فى مدينة مثل هذه ؟ » .

ـ « أنا متأكد أن باث بلدة تحظى بالاحترام . على السطح على الأقل . لكن ، أنظرى إلى كل هذا البناء الذى يشكو . » ويشير بذراعة الأيسر إلى فجوة كبيرة فى الأرض خاصة بلوحة الغاز إلى متجر عبر الطريق . وبدأ ضجيج الحفر يغطى على ما يقوله .

ـ « ماذا كان ذلك ؟» .

ـ « تم بناء باث فى طبقات ، مع مدينة أكواسوليس الرومانية القديمة فى القاع . ربما قام الرومانيون ببناء موقع ما فوقها ـ لم نعرف بالتأكيد ذلك . لابد وأن هذا مكان شائع دائما للإستقرار به بسبب الينابيع الدافئة . إن ما أهدف إليه على أية حال هو أنه لابد وأن هناك بقايا مدينة رومانية تحت كل تلك المبانى الجورجية والحديثة . »

ـ أجابت لورا بالموافقة حيث قالت : « نعم » . ولم تستطع فهم ما علاقة درس التاريخ هذا بإحدى روايات جاريث الحديثة .

ـ « لذا ، كنت أفكر فيما سيحدث لو أن مواقع تلك الأبنية يغطى إكتشافاً ثمينا حقيقيا؟ »

ـ « هل سوف يستدعون علماء الآثار؟ » .

ـ « هذا ما يجب عليهم عمله بالطبع . لكن ذلك يمكن استغراق أسابيع أو ربما شهور من الحفر فى الموقع . لا يمكن دفن تلك الأشياء إلا ستكون هناك مغامرة فقد معلومات ثمينة جدا . وستتوقف كل أعمال البناء فى نفس الوقت » .

www.elromancia.com

ـ « وبدأت لورا ترى إلى ما قد يؤدى إليه كل ذلك ، فقالت : وهناك من يفقد الكثير من المال » .

ـ « بالضبط . لذا أجد نفسى مندهشا فيما لو حدث وحاول البناؤون تغطية ما يتم العثور عليه لأسباب إقتصادية » .

ـ « استمرت لورا وقالت : إلا أن أحداً آخر يكتشف ما يحدث ، ويدرك الأهمية التاريخية للكشف » .

ـ « يحاولون إخطار السلطات » .

ـ « لكن أحدا من مؤسسة البناء يحاول إيقافهم عن الإستمرار فى العمل» . واستمرت لورا لتقول : « جاريث ، إنها لفكرة هائلة . لابد أن تؤلف هذا الكتاب» .

ابتسم لحماسها وقال : « ربما أفعل ذلك . لابد بالطبع من القيام بكمية بحث أولا ، ولكننى كنت أفكر فى أنه ربما تكون هناك مواقف مشوقة تنشأ من النزاع بين رجال الأعمال ذوى السلطان والمؤرخين والمحافظين » .

وصلا إلى المطعم وتأجلت مناقشتها بينما طلبا مشروباتهما والساندوتشات . كان المكان مزدحما برغم تأخر الوقت كانا محظوظين لعثورهما على منضدة فى الركن البعيد عن الباب . ثم عادا إلى المناقشة حول الإمكانيات فى فكرة جاريث ، وكانت المناقشة ودية حول الحبكة الروائية .

ـ « وقال جاريث : « آمل ألا تكون كل أفكارك مسجلة فى دائرة حق النشر والتأليف .

ـ فرغت لورا من نبيذها ووضعت كأسها الفارغ على المنضدة وسألت : «لماذا؟»

ـ « يمكن أن استخدم فكره أو فكرتين منها فى الكتاب . لو أمكن خداعى بالكتابة . »

ـ « ستلقى الترحيب » .

ـ « أشكرك » .

شعرت بالدفء من تنويه جاريث إلى أنه ربما ينظر فى أمر استخدام بعض أفكارها فى أحد كتبه . وقالت : « أنت لم تناقش كتاباتك معى من قبل » .

إبتسم إبتسامة خفيفة وقال : لم تجعلينى أرى أقل اهتمام بعملى .

ـ قالت : « لم يكن ذلك حقيقا » كانت مفتونة تماما دائما بكتاباته إلا أنها لم تكن تعرف الكثير عن الكتب فى تلك الأيام وكانت تخشى من إظهار جهلها . وبالنظر ثانية يمكنها ألا تندهش من أنه قد فسر سكونها كشىء دون تحيز فيه . وحاولت شرح هذا إلى جاريث .

ـ « كان من دواعى سرورى أن أوضح لك ما كنت أحاول عمله . ما كان عليك سوى أن تسألنى » . وهز كتفيه وقال : « حسن ، ربما يهمك الآن » ونظر إلى كأسها وقال : « هل تحبين مشروبا آخر ؟ » .

ـ « نعم ، من فضلك ، عصير برتقال هذه المرة ؟ » .

توجه جاريث إلى البار وسط الحشد ، وتتبعه عينا لورا ، معجبة بطوله الفارع ورشاقة حركاته . كان هو ذاك الرجل الرشيق الجذاب والذكى والممتع . واكتشفت أيضا أنه من الصعب تذكر أنه كان أيضا الرجل الذى هجرها عندما كانت حاملا .

ـ « لورا ؟ »

وعاد جاريث إلى المنضدة مع مشروباتهما . وخمنت من تعبيرات عينيه أنها لم تكن المرة الأولى التى فيها يحاول جذب انتباهها .

ـ قالت بسرعة : « أنا آسفة . ماذا قلت ؟»

ـ « سألت عن المدة التى تعتزمين بقاءها فى باث . »

ـ « تسعة أيام أخرى » .

هز جاريث رأسه ثم تردد لحظة أو لحظتين وبدا كأنه توصل أخيرا إلى قرار وقال « لو أردت الحضور إلى الشقة باكر ، فإنه يمكنك رؤية ماتيو » .

الفصل الرابع

لم تعرف لورا ما تقوله له . لقد أمضت ساعات كثيرة قلقة مستيقظة فى الليلة السابقة ، تفكر فى أفضل وسيلة لاقناعه بأن يدعها ترى إبنها ، ذلك الشىء الذى عرضه عليها وكانت تواقه إليه .

ـ « أشكرك » قالتها عندما بات واضحا أنه بانتظار رد منها .

وضع كأسه على المنضدة وانحنى إلى الأمام قليلا ليضيف تأكيدا على كلماته الثانية .

« لابد وأن تفهمى أن ماتيو لا يعرف شيئا على الإطلاق عن علاقتنا الماضية . لا يجب أن يعرف أبداً أنك أمه » . إحتد صوته قليلا يحمل لغة التحذير . وقال : « نجحت لأعطيه حياة مستقرة سعيدة حتى الآن . ولن أسمح لأى شىء ـ أو لأى شخص ـ أن يفسد هذا » .

ـ قالت لورا : « فهمت » .

ربما عليها أن توافق حاليا على أى شرط قد يقدمه جاريث طالما أنه باستطاعتها رؤية ماتيو . إلا أنها وجدت شروطه عقلانية تماما . أيا كانت مشاعرها فى هذا الأمر عرفت أن ذلك يمكن أن يضر بابنها فى حل الرباط الذى أقامه مع والده . ولا شك فى أن جاريث وجد من الصعب تصديق اهتمامها

www.elromancia.com

الرئيسى من كل هذا هو سعادة ماتيو . أضاف جاريثه : « إحضرى حوالى الساعة الثالثة . يمكنك البقاء وتناول العشاء معنا ، إذا وددت ذلك » .

ـ « أود ذلك . أشكرك » . قالت لورا ثانية . كانت الكلمات تبدو كافية بشق الأنفس لتحمل الراحة والإمتنان اللذين شعرت بهما فى تلك اللحظة ، وجاهدت لتجد طريقة لتدعه يعرف كم هى مقدرة دعوته لها فى الحقيقة .

ونهض جاريث وقال : « يجب أن أعود إلى المنزل الآن . ظللت بالخارج لمدة أطول مما كنت أقصد ولا أريد أن يبدأ ماتيو فى القلق . »

ـ « لا ، لا بالطبع » نهضت لورا أيضا ، وتخلت عن محاولتها ترجمة مشاعرها فى كلمات حالياً وقالت : « لن أعطيك أطول من هذا . إلى اللقاء الآن ، يا جاريث » .

ـ « إلى اللقاء » .

ـ « سأراك باكر » .

وتبعته لورا للخارج إلى الممر . باكر ، فكرت فيه . باكر سوف ترى ابنها . لكن عينيها كانتا على جاريث تتابع ذلك الشكل الطويل المميز إلى أن إختفى فى النهاية عن نظرها عند ركن الشارع .

نظرت لورا إلى ساعتها ربما للمرة الخامسة عشرة بعد ظهر ذلك اليوم . لازال الوقت مبكرا ، مبكرا جدا لتستعر . إلتقطت الكتاب الذى إشترته هذا الصباح وجلست على كرسى بجانب النافذة بأمل غمس نفسها مؤقتا فى تاريخ الحمامات الرومانية التى شهدتها فى اليوم السابق . لكنها عندما أدركت أنها قرأت نفس الصفحة مرتين دون فهم أى شىء من معناها كفت عن كل تظاهر بالقراءة . كانت متلهفة وغير صابرة بالنسبة للقاء ابنها . لم تعرف أبدا مرور الوقت ببطء كهذه المرة . كانت عصبية جدا وخائفة من المواجهة مع ابنها بقدر ما كانت تهفو

إليه . ماذا لو لم يحبها ماتيو ؟ ماذا يجب أن تقوله له ؟ كانت تعاملاتها قليلة مع الأطفال فى حياتها ، وماذا لو فلحت فى إزعاجه ؟

وقعت عيناها على نموذج لأتوبيس لندن أحمر اللون فوق التسريحة . أمضت معظم الصباح فى إستكشاف محلات لعب الأطفال المحلية ، وهى تجربة جديدة بالنسبة لها . وغير متأكدة مما هو الأفضل ليدخل السرور على ولو صغير يقترب من عيد ميلاده الخامس ، ثم تذكرت فى النهاية كوم السيارات من اللعب تحت مكتب جاريث . افترضت أنه من الخطأ جدا إضافة السيارات اللعب إلى المجموعة . إنها يحدوها الأمل بأن يحب ماتيو الأتوبيس .

عندما قررت فى النهاية حان الوقت للبدء فى الاستعداد ، واقتربت من القيام بالمهمة بكل إهتمام الفتاة التى تخرج لأول مرة . إختارت من ملابسها ما تريديه . وترامت إلى ذهنها الذكريات ومنها ما قاله جاريث ذات مرة أنه يفضل اللون الأخضر من الملابس . ومشطت شعرها حتى صار لامعاً . وضعت مكياجا خفيفا ، وها هى جاهزة .

ونظرت لورا فى المرآة النظرة الفاحصة بعدما انتهت من الملابس ووضع المكياج . وبدت آثار العصبية التى شعرت بها وتعكسها عيناها الكبيرتان الدكتتان وعلى وجنتيها . ولم تترك أشعة شمس الأيام القلية الماضية أى أثر سوى على أنفها ، وهذا ما يناسب صورتها الجديدة كامرأة عاملة .

ماذا يظن جاريث عنها الآن ؟ مازال فكرها يعود يقلقها علاوة على اهتمامها بلقاء إبنها . عرفها جاريث عندما كانت متوهجة بجمال شبابها . لقد تغيرت حتما منذ ذلك الحين . ماذا يظن حيال المرأة التى صارت عليها لورا الآن ؟

حسن ، ما من شىء تستطيع عمله أكثر من هذا بالنسبة لمظهرها الآن . يجب عليها الآن أن تكون فى طريقها إذا أرادت عدم التأخير . قررت المسير حتى

الشارع الملكى المنحنى بدلاً من ركوب الأتوبيس أو استئجار تاكسي بأمل أن التمرين قد يساعدها على أن تستقر أعصابها . لم يفلح هذا الأمر ، فكانت مضطربة وهى تدق جرس ج . رايدر أمام الباب المدهون باللون الأبيض .

فتح جاريث الباب بنفسه حيث كان يرتدى بنطلونا داكنا وقميصا أبيض مفتوحاً عند الرقبة ويبدى مظهره رائعاً . لم تفكر لورا عند لحظة رؤيتها لجاريث أن الأمر ليس لقاء ابنها فقط وإنما الإحساس بأنها تريد هذه الفرصة لتكون مع جاريث ثانية .

ابتسمت لورا إليه وهو يفتح الباب ولم يكن يعنيها فى تلك اللحظة لو كانت مشاعرها مرسومة على وجهها أمامه ليفهمها من عدمه . « أهلا يا جاريث » قالت لورا وهى مسرورة .

هز رأسه وهو ممسك بالباب ، وخفتت ابتسام لورا المشرقة عندما لاحظت على وجهه تعبيرا متحجرا .

ـ « لم أتأخر جدا ، هل تأخرت ؟ »

كان شيئا سخيفا لأن تقول له ، وهى تعرف جيدا أنها لم تتأخر . لكنها لم تستطيع التفكير مباشرة فى أى سبب آخر لعدم سروره الواضح .

نظر جاريث إلى ساعة وقال : « لا . أنت دقيقة هذه الأيام . وهذا تغيير سار » . كان وقع صوته على أذن لورا غير سار لكنها أجبرت نفسها على عدم رد الفعل . وقررت أن لا تكون هناك مناقشات بينهما فى هذا الوقت بعد الظهر .

ـ « ظننت أننى من الأفضل الوصول فى موعد قريب مما حددته . لا أعرف متى يتناول ماتيو عادة الشاى » .

هل كان هذا مجرد تصورها أم أنه بهت قليلا من ردها الدبلوماسى ؟ هل هو يحاول جرها إلى مناقشاتها المهلكة مرة أخرى ؟ رغبت لورا فى معرفة ما يدور .

ـ « اقترح أنه من الأفضل أن نصعد » . وفتح جاريث الباب بقدر كاف لها لكى تدخل . وتبعته فى سكون إلى أعلى درجات السلم . وكان ذهنها مشغولا فيما عسى أن يكون قد حدث لأن يغير من موقفه تجاهها بصورة كبيرة هكذا ، فى أنهما كانا على وفاق الأصدقاء . حقا ، إن حضورها إلى هنا كانت فكرته . ربما هو الآن يأسف بشأن هذه الدعوة الكريمة . أشار جاريث إلى نفس الحجرة المشمسة التى رأتها من قبل . كانت هناك بعض اللعب متناثرة على الأرضية إلا أنه لم تكن هناك إشارة على وجود صاحبها ، أدركت لورا بعد لحظة أن الشقة برمتها هادئة جدا ، لم يكن هناك صوت طفولى ضاحك أو وقع أقدام فى أى مكان . امتلأت عيناها بشك مفاجىء ، والتفتت إلى جاريث بغضب وهو يتبعها إلى الحجرة .

قال جاريث : « أليسون أخذت ماتيو إلى النهر » وهو يجيب على سؤالها الذى فى عينيها .

وأضاف : « إنه يحب أن يطعم البط والبجع » .

ـ « لكن هل سيعود ؟ »

ـ « فى غضون ساعة » .

عندما إلتقت عينا لورا بعينيه عبر الحجرة إرتعشت لورا من العداء البارد الذى واجهته فى حملقته . وبدا فجأة كما لو أن الواقف أمامها إنسان غريب عنها .

ـ « ألم تريدنى هنا فعلاً ؟ » سألته بفظاظة .

ـ « لا ، لا أريدك هنا » . أجابها بمثل فظاظتها وأضاف : « لقد أخطأت بطلب حضورك » .

ـ « لماذا ؟ »

ـ « لأن رؤيتك ثانية أيقظت الذكريات كلها بالنسبة لى ، ذكريات أفضل تركها مدفونه .

www.elromancia.com

لقد دمرت حياتى مرة . نجحت الآن فى بناء حياة جديدة لنفسى ولماتيو . لا أريدك هنا . تحاولين تحطيم كل شىء ثانية » .

ـ « انفجرت لورا وهى غاضبة : « لن أفعل ذلك أبداً » .

ـ « لا ؟ ، ألم تشاهدي أن حضورك إلى هنا فى منزلى هو تهديد للعلاقة التى أقمتها مع ماتيو عبر السنين ؟ »

أخذت لورا نفسا عميقا لتعدل من صوتها وقالت : « لماذا دعوتنى إلى هنا أول مرة ، آنذاك ؟ »

ـ قال بحدة : « لأننى أردتك أن تشاهدى ماتيو . أردت أن تفهمى ما تخليت عنه عندما تم تبنى ابننا » .

كانت لورا متأكدة تقريبا أن هذا لم يكن سببه الأصلى لدعوتها ، لم يكن هناك أى أثر لحنقه أو غضبه عندما أصدر الدعوة . لكنه هناك شىء قد تغير بصورة رهيبة منذ ذلك الحين ، لأن عواطفها كانت واضحة كلها جدا . إلتفتت قليلا عنه وتظاهرت بالنظر من النافذة لتجعله يرى أن كلماته القاسية قد آلمتها كما لو أنه ضربها . عليها أن ترحل إلا أن اشتياقها لرؤية ماتيو جعلها تظل واقفة فى مكانها بعناد .

كانت تعى أن جاريث كان يتحدث من خلفها : « لو نويت الإنتظار فربما من الأفضل أن تجلسى . هل تريدين قهوة أم شايا أو أى شىء ؟ »

ـ « لا ، أشكرك » .

عندما خرجت الكلمات من فمها فكرت أنه ربما كان من الأفضل أن تقول نعم . كان هذا على الأقل يتيح لها تأجيل مدته بضع دقائق ، لكى تجمع شتاتها . لكنها جلست ووضعت حقيبتها على الأرضية بجانبها ووضعت يديها فى حجرها لتخفى حقيقة ارتعاشها .

ـ « هكذا . قررت الانتظار ؟ » .

ـ « نعم »

ـ « حينئذ ، وقبل عودة الآخرين ، لنكن متأكدين من أننا نفهم بعضنا . أنا دعوتك إلى هنا اليوم ولكنى لا أريدك أن يكون لديك فكرة أنك ستجدين الترحاب فى منزلى ، ثانية . إطلاقا . وليس لك أى حق فى التدخل فى حياتى أو فى حياة ماتيو » . وكان يغدو ويروح فى الحجرة وهو يتكلم حيث مشاعره كانت قوية جدا بالنسبة له لتمكنه من أن يبقى هادئا يلقى بكلماته الغاضبة خلف كتفه ناصيتها . « هل هذا واضح ؟ »

هزت لورا رأسها بالموافقة بعزة نفس بقدر ما تستطيع فى هذه الظروف .

ـ قالت لورا : « نعم ، واضح تماما » .

ـ « حسن . والآن فكرت فيما تفترضينه بأن لك أى حقوق شرعية فى الإقتراب من ماتيو » .

ـ « لا أعلم شيئا عن هذا الأمر » .

ـ « لا ؟ . حسن ، دعينى أؤكد لك أن ماتيو هو إبنى بموجب القانون . يمكنك رؤية أوراق التبنى إذا كان لديك أية شكوك بشأن ذلك الأمر . وأحذرك بأننى سأحارب أى محاولة من جانبك لعمل أى شىء له صلة به مستقبلا . هل فهمتى ذلك ؟ » كانت لورا تضغط بيديها فى حجرها لدرجة أن الأظافر غرست فى لحمها الناعم لراحتى كفيها .

ـ « ألم تفكر فى أننى عوقبت بقدر كاف فعلا ؟ » سألت لورا وهى تتحطم .

ـ « ماذا تعنين ؟ »

ـ « لقد فقدت طفلى . »

حيث إن جاريث يعطيها ظهره فلم تستطع رؤية التعبير على وجهه . لكن أذنها إلتقطت تغييرا فى صوته حينما قال : « أنت لم تريدي أبدا طفلا فى المقام الأول . يجب أن أتذكر أنك أخبرتنى بذلك مرارا وبقدر كاف » .

ـ « أعرف أننى قلت ذلك . لكنك يجب أن تتذكر أننى صغيرة ، أصغر من طفل فى ذاك الوقت . كيف يتسنى لى أن أفهم ؟ »

ـ « الآن ، أنت بالطبع ناضجة » .

إحتقاره الواضح فى صوته جعل لورا تنهض من على الكرسى للعراك ، لكنها تغيرت فى بضع السنوات الماضية الأخيرة وأرادت أن تجعل جاريث يعرف هذا ، ولو أن هذا لم يغير من الأمور التى بينهما الآن .

ـ « لقد كبرت الآن . منذ أن تركتنى مع » ـ قالت لورا بهدوء .

قاطعها جاريث دون أن يعطيها الفرصة لتنتهى ما كانت تقوله حيث قال : « كما أتذكر أنها أنت التى تخليت عنى . صححى الحقائق » .

ـ قالت لورا ثائرة : « أعرف جيدا ما حدث . كنت أريد وقتا قليلا آخر وهذا كل ما فى الأمر ، لكنك قررت أن هذا هو قدر كاف . لم تكن تريد أن تفعل شيئا أكثر لتتحملنى »

سار جاريث بضع خطوات ليقف أمامها وقبل أن تنتهى من كلامها وبدا على وجهه تعبير التهديد وقال : أنت لديك ذاكرة تنتقى جيدا ، أليس كذلك ؟ واحتفظ برباطة جاشة وأضاف : « يبدو أنك نجحت بصورة مناسبة فى نسيان كل تلك الأوقات التى حاولت فيها رؤيتك ، وكل الخطابات التى كتبتها إليك التى لم تهتمى حتى بالرد عليها . لا تحاولى أنتخبرينى بأننى الذى لم يحاول إنقاذ علاقتنا . » .

هبت لورا واقفة لتواجهه بدورها والحنق يطفو على السطح تجاه التشوية

المتعمد للحقيقة . كل نواياها الحميدة لتجنب المشاجرة تم نسيانها فى حرارة الغضب وقالت : « لم تكن هناك خطابات . ولم تحضر لرؤيتى أبدا ـ كان ذلك فى مرة واحدة فقط » .

ـ « أهـ . هكذا . أتتذكرين تلك المناسبة ؟ طلبت منك العودة معى ذلك اليوم ، ألم أطلب منك ذلك ؟ وتوسلت إليك . وماذا فعلت ؟ أخبرتنى بأنك لا تريدين رؤيتى أبدا مرة ثانية » .

قالت لورا وهى ترتجف قليلا : « وأنا نادمة على بضعة أشياء كثيرة جدا فى حياتى » . وزال غضبها بالسرعة التى تتطاير بها . تذكرت تلك المناسبة بصفة خاصة جيدا جدا . وتروادها أحيانا بصورة كوابيس تنتابها .

ـ « لماذا أصدقك ؟ لقد أخبرتنى بأكاذيب كثيرة جدا فعلاً » .

ـ قالت بهدوء وبطء : « لم أرك بضعة أسابيع . كنت متأكدة من أنك لم تعد تهتم بى ، وشعرت بالجرح والغضب والمهانة . عندما رأيتك أخيرا لم أكن أفكر بوضوح جدا فيما كنت أقوله . كنت أريد الإنقضاض عليك لأجرح مشاعرك كما جرحتنى . وعندما رحلت جريت وراءك لأخبرك بأننى لم أقصد حقيقة أيا من تلك الأشياء التى قلتها . لكننى تأخرت جدا . كنت فى سيارتك بعيدا بالفعل . »

شىء من العاطفة المنبعثة من كلماتها لابد وأنه أقنع جاريث بأنها كانت تقول الحقيقة لأنه فجأة كان يبدو مهتزا كما هى تشعر بالاهتزاز وقال : « جريت ورائى ؟ »

ـ « نعم » .

ـ خفت حدة العداء من موقف جاريث وقال : « وماذا عن كل الأوقات الأخرى ؟ » حيث سألها جاريث بهدوء .

ـ « أى أوقات ؟ »

ـ « الأوقات التى حضرت فيها إلى منزلكم لرؤيتك ، كنت فقط مريضة جدا أو متعبة جدا أو مستاءة لرؤيتى » .

ـ « لم أعرف أبدا شيئا عن زياراتك » . « لا ؟ لذلك كنت غاضبة جدا عندما قابلتك أخيرا لأننى ظننت أنك لم تهتم بقدر كاف لتحضر وتراني عندما كنت مريضة . ومن الذى أخبرك بأننى لم أرد رؤيتك ؟ » وخمنت الإجابة حتى قبل أن تسأل السؤال .

ـ « والدك » .

ـ « طبعا ، لقد كان هو » . « لم أعرف شيئا عن أية زيارات أو أية خطابات . أرجوك صدقنى » .

هذه المرة هز رأسه بالموافقة حيث قال : « نعم ، أصدقك . لم أظن أن والدك سامحنى إطلاقا لوقوعى فى حبك وحاولت إقناعك بالهرب معى ، هل سامحنى ؟

ـ « لا . ومرضى أتاح له الفرصة كاملة ليفصل بيننا » .

واستطرد جاريث متأملا : « وكان عطوفا بقدر كاف بالنسبة لى . وأتذكر تأكيده لى بأنه سيسلمك كل رسائل خطاباتى إليك حتى وأنت مريضة جدا لتستقبل زائرين فى ذاك الوقت » .

ـ « لم يذكر أبدا أنه حتى رآك . »

ـ قال جاريث بغلظة : « كنت أحمقا لأصدقه بالفعل . أنا أعرف سببا كافيا لأنه لم يحبنى وكان يجب أن أعرف أنه لن يتغير بسهولة » .

ـ ضحكت لورا فجأة وقالت لجاريث : « لا يجب أن تلوم نفسك . ربما كان مقنعا عندما اختار ذلك » .

ـ « نعم . أتذكر أنه كان يواسينى حيال قلبك الذى تغير . هل ذلك كله كان مجموعة من الأكاذيب الماهرة؟ » .

ـ « حقيقة تامة أننى كنت مريضة . كنت حاملا رغم أننى لم أكن أعرف ذلك الوقت . لكننى لم أكن مريضة جدا أبدا لدرجة أننى لم استطع مقابلة الزائرين » .

ـ « هل كنت تحدثت معى آنذاك ؟ »

ـ « طبعا . كنت أريد أراك أكثر من أى شىء . أظن أن هذا هو سبب مرضى جدا لأننى فكرت فى أنك لم تعد تحبنى » .

ـ « لم أتوقف أبدا عن حبك يا لورا » .

سمعت لورا فى هدوء غلق الباب بصوت هادىء أسفل الدرجات ثم سمعت أصواتا فى الصالة .

ـ قالت لورا بصوت ناعم ومشاعر الأسف : « لو كنا قد عرفنا فقط . ربما كنا قد عدنا إلى بعضنا البعض ثانية قبل فوات الأوان » .

وقع أقدام تقترب على درجات السلم ، خطوات واسعة وخطوات أقل اتساعا .

ـ قال جاريث : « من الممكن جدا . فى ذلك الوقت كنت لازالت أريدك زوجة لى » وسار ناحية الباب . كانت يده على أكرة الباب توقف ثم تحدث ثانية وكانت كل كلمة ثقيلة وقوية فى هدوء الحجرة المشمسة ، وقال : « تعلمت أن أكرهك فيما بعد » .

ثم انفتح الباب واندفع ماثيو يزمجر فى الحجرة كطور بيد صغير وألقى بنفسه على والده . التقطه جاريث وتعانق الإثنان بحب واضح وصريح . راقبتهما لورا حيث وجدت نفسها فجأة تناضل لكبت عواطفها العديده الراسية فى أعماقها . لكنه من المستحيل بألا تشعر بالغيرة من البرهان الكامن للرابطة بين الأب وإبنه ، التى منها خرجت .

بضع لحظات بعد دخول الولد حتى وصلت مربيته إلى الحجرة . رمقت لورا بنظرة سريعة وبتعبير فى عينيها الرماديتين يتم عن الدهشة حيث لم تتذكر أين تقابلتا من قبل .

ـ « مسز كورتينى هنا لرؤيتك ، يا جاريث »

التفتوا جميعا تجاه الباب حيث ظهرت إمرأة فارعة الطول وشعرها أسود .

ـ « أهلا يا جاريث » ، قالت المرأة بصوت دافىء .

تعرفت لورا عليها على الفور . إنها المرأة التى قدر أنها الأمسية الماضية تمسك بذراع جاريث خارج المطعم . نظرت بحنق إلى الوافدة الجديدة التى ظهرت فى لحظة فى غير وقتها .

من تكون هذه المرأة الجميلة ، وما مدى قرب علاقتها بالنسبة لجاريث ؟ عرفت أنه لابد وأن هناك إمرأة أخرى فى حياته ، فكان مفعما بالحيوية جدا وجذابا جدا لأن يعيش كناسك طوال تلك السنوات . إلا أن هذا لم يجعل الأمر سهلا لقبول المواجهة مع الدليل وجها لوجه فجأة .

جاريث أنزل ابنه وتقدم ليحيى الزائرين . « روزالين ، أهلا ، كيف حالك؟»

نظرت المرأة نظرة سريعة شاملة إلى لورا قبلما ترد . « قابلت ماتيو وأليسون مقبلين من ناصية النهر وسرنا معاً . وما كنت جئت لو كنت عرفت أن لديك زائرة» . قام جاريث بتقديم الموجودين ، ورمق لورا بعينيه بسرعة ، وأضاف : «روزالين هى عميلتى » . الغيرة التى مرت بها أول مرة رأت روزالين ثم الإرتياح الذى سرى خلالها الآن عند سماعها تفسير علاقتهما مما أخبر لورا عن هذه العلاقة أكثر مما كانت ترغب فى معرفته عن حالة مشاعرها بالنسبة لجاريث . هذا التأكيد هزها . وقامت بجهد كاف حتى ترد على تحية روزالين الودية ردا عقلانيا .

إلتفتت المرأة إلى جاريث بعد تبادل بضع كلمات مع لورا ، بسرعة تفوهت بكلمة إعتذار . « أنا آسفه لإزعاجك مثل هذا . والأمر هو أن الناس فى مركز التليفزيون يريدونك ساعتين قبل ما اعتزمناه أصلا . هل تستطيع ذلك ؟ »

ـ « لا يشكل هذا مشكلة » .

ـ « حسن . سأراك هناك بعدئذ » .

وقامت أليسون بتوصيل الضيفة إلى الباب . ثم وضع جاريث يده على كتف إبنه وقال : « ماتيو ، لدينا زائر حضر لتناول الشاى معنا اليوم . فلتقل أهلا إلى لورا . » نظر ماتيو إلى لورا . حاولت لورا الإبتسام إليه ، لكن شفتيها كانت ترتعشان كثيرا جدا لدرجة خشيت من أن تكون محاولة ضعيفة .

ـ « أهلا يا ماتيو » .

حملق ماتيو إليها لحظة أطول دون أن يبتسم ، ولم يتذكر بوضوح أين رآها من قبل . ثم تذكر مقابلتها وابتسم لها ابتسامة عريضة مما جعل قلبها يدق . « أهلا ، ذهبنا لمشاهدة البجع » .

ـ « سمعت أنك كنت تطعمهم أيضا » .

ـ « نعم . كانت أليسون توفر كل قطع الخبز لها . كانت هناك بجعة شرهة أيضا وحاولت إلتهام أصابعى مثل الخبز » .

ـ « آمل ألا تكون قد أضرتك» .

ـ « لا ، كنت أسرع من البجعة العجوزه السخيفة . أنا جوعان . لقد أكل البجع كل الخبز . ما رأيكم فى الشاى ؟» ونظر إلى مربيته يبحث عنها .

تدخل والده بسرعة يخفى ابتسامته . وقال : « أنت بحاجة إلى أن تغتسل وتغير ملابسك قبل أن تكون مستعدا للجلوس وتناول الأكل مع الزائرين .

اذهب وابحث عن أليسون . ربما تكون فى المطبخ . سوف نتناول الشاى بمجرد أن تهندمك » .

أطاع الولد والده ومسحت لورا عينيها قبل أن يلتفت جاريث لينظر فى اتجاهها .

ـ « هل تشعرين بأنه على ما يرام ؟» .

قابلت لورا السؤال كما لو أنه يعنى السؤال عن رأيها فى طفلها . « إنه مبهج » قالت بهدوء وأضافت : « ويبدو ذكيا . إنه بالتأكيد يتحدث جيدا بالنسبة لعمره؟ » .

أشار جاريث برأسه ، لكنه يبدو مسرورا . كان من الواضح أنه فخور جدا بابنه الصغير . قالت لورا فجأة : « أنا سعيدة بأنك أخذته » .

ـ « هل أنت فعلا سعيدة ؟ »

جلست لورا صامتة للحظة شاردة تجاهد لتضع مشاعرها فى كلمات وكان عليها أن تتأكد مما شعرت به تجاه كل هذا . « حقيقة أنا سعيدة لأنه مع والده الحقيقى . كان من أسوأ الأشياء التصور بأن غرباء عنه تماما هم الذين يقومون بتربيته ، والتساؤل عما إذا كانوا يرعونه بصورة لائقة . لكننى أرى الآن أنه محبوب وهو سعيد . هذا يجعل من الأمر برمته ـ أسهل » .

إن صدقها الواضح فى كلماتها بدا وكأنه أخذ بجاريث إلى المفاجأة . قال بعد عدة لحظات : « يمكنك أن تثقى بى فى أنى أفعل ما فى وسعى لأجله ، دائما » .

ـ « نعم . أعرف ذلك » . ونظرت لورا إليه . وقالت : « أود أن أعرف كيف كنت قادرا على تبنيه أولا . لم يكن الأمر صعبا للترتيب ، بعد أن أخبرتك كيلى عنه؟ »

ـ أجاب باختصار : « لا . تم ذلك بسرعة وبالسهولة الممكنة بالنسبة لى . وكان ذلك جزءاً من الاتفاق » .

ـ إلتقطت لورا هذه الكلمة وقالت : « إتفاق ؟ » حيث وسعت عيناها . « جاريث ، عما تتحدث ؟ أى اتفاق؟ » .

ـ قال بتصميم : « الإتفاق مع والدك ، لكى أستطيع تبنى ماتيو » .

ـ وقالت : « أخبرنى » .

ـ هز جاريث كتفيه وقال : أفترض أنه ما من سبب أن لا تعرفى الآن » . ثم جلس أمامها وبدأ يشرح : « كيلى بمجرد أن أخبرتنى بأنى رزقت بإبن ، ذهبت لأقابل والدك . كنت ثائرا لأنه حاول الاحتفاظ بوجود الطفل سرا ويخفى ذلك عنى ، وأخبرنى كم أنك أردت تعض اليدين عن الطفل ، فمن ثم لا علاقة لى بك وبطفل » .

ـ قالت لورا : « ليس هذا حقيقى » .

استمر جاريث فى روايته بعد توقف قصير وقال : تم إخبارى بأن إبنى سيتم تبنيه وأنت قمت بالتوقيع على كل الأوراق اللازمة . وقال والدك إنى استطيع أن آخذ ماتيو على شرط أن أعده بعدم رؤيتك ثانية .

« أى إمرأة تستطيع التخلى عن ابنها ـ إبنى ـ للغرباء ـ » ثم صمت جاريث حيث لم يجد الكلمات لوصف مشاعره .

ـ إحتجت لورا قائلة : « لكن الأمر لم يكن هكذا على الإطلاق . »

ـ « لا » .

ـ « لا . لقد قمت بمحاكمتى فى قلبك وقمت بإدانتى فعلا ، أليس كذلك ؟ ألم تفكر على الأقل بإعطائي فرصة لأشرح موقفى من القضية ؟ »

ـ قال جاريث بسرعة : « سنتحدث عن هذا فيما بعد . »

حضر ماتيو إلى الغرفة وشعرت لورا بالامتنان لأن ابنها مازال صغيرا جدا ليكتشف التوتر فى الجو بين والديه . وأنه بمجرد أن قال إن الشاى سيكون جاهزا فى عشر دقائق تجاهلها بفضل مجموعة لعبه .

تذكرت فجأة لورا الأوتوبيس عندما كانت تراقب ماتيو وهو يلعب . أمسكت بلعبة الأوتوبيس فى حقيبتها ثم أعادته حيث كان من الأفضل لها أن تبحث الأمر مع جاريث أولا قبل إعطائه لماتيو .

ـ « جاريث » ؟

ـ « نعم » ؟

قامت لورا بشرح أمر الهدية التى أحضرتها معه وقالت : أود أن أعطيه شيئا صغيراً إن لم تمانع . وكانت خائفة من مزاجه الصعب ليرفض أن تعطى الطفل أى شىء .

ـ هز جاريث رأسه بعد تردد بسيط وقال : « بالتأكيد سيفرح ماتيو . إنه يحب الحصول على الهدايا . كان ماتيو مسرورا بالهدية . ووضعها على الأرض لتكون من بين اللعب . ذكره والده ليأتى ويقدم الشكر اللائق .

ـ قال جاريث : « هذا إختيار جيد » وظل هو ولورا يراقبان الولد مع لعبه . وقال : « كما تشاهدين إنه مجنون بموديلات السيارات من أى نوع » .

ـ « أنا سعيدة بأنه يحب ذلك . »

بدا كل شىء يسير عل النحو الأفضل . تناول الشاى الأربعة الموجودون والجالسون حول منضدة المطبخ معا ، وبدا موقف جاريث متحسنا آنذاك . لم تشك لورا فى أن هذا التغيير يرجع فقط إلى وجود أليسون وماتيو لكن هذا لم يمنعها من الإستمتاع بجو الإسترخاء .

بمجرد أن تنتهى الوجبة توقعت أنه من الأدب الإنصراف . لم يذكر جاريث عملية الرحيل عندما جذبها ماتيو من يدها ليعود إلى حجرة الصالون ليجعلها تشاهد كل مجموعة لعبه من السيارات . لدهشتها بدا جاريث راضيا ويجلس فى كرسيه ويراقب الاثنين يلعبان معا على أرضية الحجرة .

لم تكن لورا فى عجلة من أمرها لأن ترحل . كان الأمر بمثابة حلم تحقق بالنسبة لها ، وهى فرصة لمعرفة ابنها المبهج ـ عندما لاحظت أن الوقت يمر بسرعة تخللها شعور بالألم . كان جاريث قد أخبرها بأن لن تلقى الترحاب فى منزله ثانيه وقت أن تنتهى الزيارة ولم تكن متأكدة من إمكانها رؤية ابنها ثانية . وعندما يسألها ماتيو سؤالا أو يبتسم لها فإن مخاوفها بالنسبة للمستقبل تبتلعها بهجتها فى الوقت الحالى .

دق جرس الباب ولم تهتم لورا بذلك . سمعت أليسون بأنها ستفتح الباب وعادت تلعب لورا مع ماتيو . إن زائرى جاريث ليس من شأنها حيث ذكرت نفسها بذلك . عادت أليسون مع سيدة كانت مألوفة للدار و دخلتها الحجرة . ونظرت إليها وإذا بماتيو يقفز على قدميه بهزة سرور وقال : « جدتى ! » وجرى ليقابلها بالأحضان . وقف جاريث أيضا بهدوء ورباطة جأش وألقى بالتحية إلى والدته وطبع قبلة على خدها . وقال : « أهلا لم نكن نتوقع رؤيتك هذا المساء » .

ـ « حسن ، عثرت على الكتاب عن سفر الفضاء الذى وعدت بإحضاره إلى ماتيو ، لذا فكرت أن أمر أيضا وأعطيه له » .

وقفت لورا وانتظرت بالطرف الأقصى من الحجرة وانكمشت منذ اللحظة التى لاحظت المرأة فيها وجودها هناك . آماندا رايدر لم تكن موافقة على الزواج بين لورا وابنها بطريقة أكثر من رفض جيمس رايدر لأسباب مختلفة جدا . لم تخفى سر حقيقة أنها ظنت أن لورا غير ناضجة تماما ومدللة ، وصغيرة جدا وغير مسئولة

لتكون زوجة لأى رجل ، ولابد أن تترك إبنها . العلاقات بين المرأتين لم تكن سوى علاقات باردة .

سمعت جاريث يقول : « لورا هنا فى باث لقضاء الأجازة . وحضرت لتناول الشاى معنا اليوم » . وكانت تحية آماندا إلى لورا تحية أدب كاف . وظنت لورا أن المرأة العجوز لن تفعل شوشرة أمام حفيدها . وردت لورا ردا بأدب أيضا .

وتساءلت آماندا : « هل تستمتعين بإقامتك هنا فى باث ؟ »

ـ « نعم ، إنها مدينة ممتعة جدا »

ـ « أنت محظوظة بصورة ملحوظة بالطقس بالنسبة لإقامتك » .

ـ « نعم . تقول الصحف إن الجو دافىء كما هو حول البحر الأبيض المتوسط » .

وابتسمت المرأتان إلى بعضهما البعض . وقررت لورا أنه من الأفضل الرحيل . إلتفتت إلى جاريث الذى كان يراقب تجاذبهما الحديث وهو صامت ، وقالت : «ينبغى فى الحقيقة أن أذهب الآن » .

عرفت لورا أنها قررت القرار السليم عندما رأت الارتياح يشع من عينيه . إذا تصرفت جيدا الآن سيسمح لها بالحضور ورؤية ماتيو ثانية قبل أن تغادر باث . كان الأمل هشا ، لكنه كان كل شىء لتساعد نفسها .

قالت لورا بأدب : « أشكرك لأجل الشاى . وكان شيئا ـ ممتعا ـ لقاؤك ثانية هكذا » .

عرفت لورا أن جاريث كان يفكر فى العداء المؤلم الذى حدث بينهما فى أول الأمر فى فترة بعد الظهر . لكن الآن مع أمه وابنه منصتين تساءل بشىء حضارى : « هل أطلب تاكسيا لأجلك ؟ » .

ـ قالت لورا : « لا . أشكرك » حيث إن ميزانيتها لم تسمح لها بركوب الكثير من التاكسيات .

ـ « لا مشكلة » .

ـ « حقيقة ، إنها أمسية جميلة ، أفضل المشى . » حيث أكدت لورا له .

لم تستطع لورا منع الإبتسامة ، وكان تعبير جاريث بالاندهاش يعنى الكثير بالنسبة لها . كان من الواضح أنه يتساءل هل هذه هى نفس المرأة التى عرفها ذات مرة ، التى لم تمش أبداً إلى أى مكان إذا كانت هناك سيارة أو تاكسى لينقلها .

كانت آمندا تنظر إلى جاريث ثم لورا وتعبيرها غير مفهوم تماما . ونوهت إلى إبنها قائلة : « لم لا تسير مع لورا إلى فندقها ؟ »

التفتت جاريث ولورا لينظرا إليها . كانت لورا تأمل فى ألا يكشف تعبيرها عن دهشتها الكاملة من إقتراح المرأة التى لديها كل سبب فى رغبتها أن تخرجها من حياتها بالنسبة لابنها وحفيدها . « حينئذ سأكون قادرة على قضاء بعض الوقت مع ماتيو بمفردنا . لم أرى حفيدى بقدر كاف ، قالت الجدة مفسرة ذلك بقدر كاف .

وافق جاريث على إقتراح والدته ، ولاحظته لورا يتبادل بعض الكلمات بهدوء مع والدته وتساءلت عما كان يقول . إلا ان ما يؤلمها أن تقول إلى اللقاء إلى ماتيو . بذلت ما فى وسعها كى تبتسم ببهجة ولا تسمح لأى أثر يدل على مشاعرها الحقيقية . خفتت الإبتسامة بسرعة وهى تسير تجاه الباب غير متأكدة من أنها سوف ترى هذا الابن البهيج ثانية أم لن تراه . عندما كان جاريث مصاحبا لها وهما يهبطان درجات السلم قالت لورا بهدوء : « لم يكن من الضرورى أن تأتى معى حقيقة . فأنا سعيدة لأن أمشى مع نفسى » .

ـ قال جاريث : « ما من مشكلة » .

ـ « ما من ضرر فى هذه الساعة من المساء » . قالت لورا وعرضت عليه فرصة أخيرة ليعود إذا كان هذا ما يريده .

وصل جاريث فعلا إلى الباب الأمامى وتركه مفتوحا لتمر لورا من خلاله ، وسألها : « هل تحاولين إخبارى بأدب أنك لا تريدين مصاحبتى لك ؟ »

ـ « آهـ ، لا » .

ـ « وهو كذلك » . وأغلق الباب خلفهما وبدآ يسيران وما كان عليها إلا أن تتبعه . قال : « كما قلت إنها أمسية جميلة . والمشى سيفيدنى ـ لقد أمضيت وقتا كثيرا جالساً للكتابة » . لم تعبأ لورا بالصمت الذى ساد بينهما وهما سائران فى اتجاه المدينة ، على الأقل لم يتناقشا . وتظاهرت لنفسها بأن جاريث الذى يسير بجانبها تلقائيامن خطواته لتتناسب مع خطواتها ، ذلك الرجل الذى أحبها بشدة ذات مرة .

سرعان ما وصلا إلى الفندق الذى تقيم فيه لورا . لم تقرر لورا الشيء الأفضل لتثير موضوع رؤية ماتيو ثانية . كان عليها أن تقول شيئا سريعا قبل أن يذهب جاريث وإلا تكون قد فقدت الفرصة . لكنها كيف يتسنى لها أن تسأل دون إثارة الغضب ثانية ، هذه هى المشكلة . ضحك جاريث ضحكة خفيفة وهو آخر شيء كانت تتوقعه فى تلك اللحظة .

ـ « هل هناك شيء ؟ »

ـ « هل أنت تقيمين هنا ؟ »

فهمت لورا ما أضحكه . فعندما عرفها فى الماضى كانت تصر دائما على النزول فى أغلى الفنادق وأفخمها . هذا لا يعنى أنها فهمت سخريته غير المستترة فى صوته . وقالت : « ربما يكون الفندق رخيصا لكنه يتناسب مع احتياجاتى . فضلا عن أننى لا أمضى الكثير من الوقت هنا » .

ـ لم يستطع جاريث التحكم فى ضحكه وقال : « إن أسلوب حياتك من

المؤكد قد تغير » .

ـ وافقت لورا فى هذا الشأن وقالت : « نعم » .

ودخلت لورا إلى بهو الاستقبال ، ولم تكن بالتأكيد تنوى الوقوف تجادل مع جاريث أمام الفندق على مرأى من المارة . لم يكن هناك أحد من موظفى الاستقبال ، فدقت لورا الجرس بأمل أن يظهر أحد حول قاعة الاستقبال ، وكانت تنظر إلى عيون جاريث النافذة . وتركزت كل أفكارها على إيجاد ماتيو .

ـ سألها جاريث فجأة : « لورا ، هل تعانين من ضاقة مالية ؟ »

حملقت لورا مندهشة ما إذا كان يسخر من تغيير ظروفها إلا أنه ظهر جادا تماما الآن . قالت لورا منهية الموضوع : « لا ، أنا بخير » .

لكن جاريث لم يترك الموضوع يمضى بهذه السهولة وقال : « بالتأكيد لابد وأنك قادرة لأن تقيمى حيث يسرك . بنقود والدك »

إنفجرت لورا بقوة مما أسكته وقالت : « شئونى المالية ليست من شأنك » .

قال جاريث : « لا ، أنا آسف » .

ـ قالت لورا : « أنا لدى عمل جيد وأستطيع تدبر أمرى بنفسى ، ولا تشعر بالأسف تجاهى » . إن لمسة جاريث المفاجئة على وجنة لورا جعلتها تحبس أنفاسها فجأة . ونظرت إلى عينيه فوجدته لا ينظر إليها بسخرية ولا أثر لعدم حبه فى تعبيره هذا . لم تجرؤ على تصديق أية عاطفة جعلت عينيه باديتين ناعمتين . دون وعى منها بللت بلسانها شفتيها اللتين جفتا فجأة وأدركت كم تكون الإشارة هذه مغرية التى بدت وهى ترى البريق فى عينيه . ببطء وضع جاريث يده خلف عنقها يربت على رأسها وقربها منه . الإدراك المفاجيء بأنه يهم بتقبيلها قد ملأ نفسها مما جعلها ترتجف من الإحساس بتوقع هذا . أغلقت عينيها قليلا وتأرجحت ناحيته .

الفصل الخامس

« مسز بريانت ؟ »

كانت إحساسات لورا مشوشة وبعد فترة تعرفت على أن ذلك هو إسمها . شعرت بأن أصابع جاريث الطويلة خلف عنقها ، ثم أبعد يده عنها مما ترك شعورها مجردا بصورة غريبة .

عندما فتحت لورا عينيها اللتين توقعتا قبلة من جاريث وشاهدت مسئول الاستقبال ينظر إليها بفضول . سألته لورا محاولة أن تكون عقلانية رغم أن قلبها يدق بسرعة وقالت : «نعم ، ما هذا ؟ »

ـ المسئول : « هناك رسالة لك » .

ـ « نعم ؟ » وتحركت لورا عن جاريث قليلا مما قد يجعلها تسترجع إتزانها بسرعة أكبر .

بدأت فتاة البحث خلال الأوراق الموجودة على المكتب بينما وقفت لورا تنتظر دون صبر . وجدت الفتاة الرسالة وهى ملحوظة بأن مستر بريان لانجدون حاول الإتصال بها . لا شيء هاماً كبيراً على الإطلاق .

قالت لورا فى تفسير سريع وهى تلتفت إلى جاريث : « إنه رئيسى يطلبنى » .

ـ وقالت « لكنه انصرف » .

ولم تعره لورا أى إنتباه وجرت إلى باب الفندق . لكن جاريث اختفى ورغم أنها سعت وراءه إلا أنه كان بعيدا فعلا لأن يسمعها . ما من طريقة للحاق به ـ حيث أرجله الطويلة باعدته عنها بسهولة . شرح هذا الأمر ينتظر وقتا آخر للإدلاء به إليه لو كان هناك ثانيه . وعادت ببطىء إلى الفندق .

وتساءلت فتاة الفندق : « هل هناك شيء ؟ » لأنها شاهدت جو الإحباط البادى على لورا .

ـ « لا . لا شيء . من فضلك إعطنى المفتاح ؟ » .

أعطتها فتاة الفندق المفتاح بهدوء مما جعلها تشعر بأن هناك المزيد ليتم شرحه . لم تكن لورا مهتمة بما يظنه الأفراد فى الفندق عنها . كل ما تريده الآن هو اللجوء إلى حجرتها حيث تستطيع أخيرا الإسترخاء من مراقبتها لمشاعرها .

كثير من الأحزان القديمة بدت ذلك اليوم ، ولو أن نصف الذكريات المنسية عادت ثانية . شعرت لورا فجأة بالاجهاد تماما . ولو أن الوقت مازال مبكرا إلا أنها خلعت ملابسها ودخلت إلى سريرها ، ووضعت المخدات خلف ظهرها ووضعت يديها على ركبيتها حيث جلست على السرير وجعلت ذهنها يسترجع ما فعلته اليوم .

العامل الأساسى الذى ظهر من الإتهامات والتفسيرات كان الدور الذى لعبه والدها فى شئونها وشئون جاريث . شعرت لورا بأنها يمكن أن تلوم جاريث قليلا لأنه كان ساخرا تجاه ذكريات جيمس بريانت ولم يكن يعرف الأسوأ منها . كان هناك وقت عندما شعرت بذلك الغضب تجاه والدها لدرجة وجدت القوة أخيرا لتترك منزلها الفخم وتعيش فى اسكتلندا وبناء حياة جديدة بالنسبة لها بعيدا عنه بقدر الإمكان . حتى أنها فى فترة بعد الظهر مرت بإحياء بسيط للثورة القديمة عندما بات واضحا كيفية مهارة والدها فى صنع الانفصال النهائى بينها وبين جاريث .

انقضى ذلك الغضب ثانية الآن تاركة مزاقاً بسيطاً من الأسى . هادنت والدها منذ أكثر من سنتين قبل أن يموت . عرفت أن ما قد فعله كان بدافع الحب لابنته الوحيدة . حيث أنه كان غير قادر على برهنة مشاعره تجاهها صراحة فإنها كانت طريقة إظهار كم هو معنى بها كثيرا . لازالت لورا تكره ما فعله إلا أنها لم تعد تشعر بأية كراهية تجاه الرجل نفسه .

أقرت لورا أن اللوم يقع عليها مثل والدها بالنسبة لما حدث . كانت ضعيفة جدا وخائفة جدا من أن تكافح لأجل ما تريده حقيقة من الحياة . وبسبب هذا فقدت جاريث وابنها .

لكنها وجدت على الأقل ماتيو الآن . لمعت عينا لورا وهى تفكر فى إبنها . كان حيويا تماما وذكيا ومثيرا . ومن المؤكد أن يسمح لها جاريث برؤية إبنها . إلا أن غمامة سوداء تخيم على ذهنها من تذكرها إعلانه بأنها لن تلقى الترحاب فى منزل جاريث ثانية .

إستمرت المجادلات فى رأسها طوال الليل الذى لم يغمض فيه جفن لها . ووصلت فى الصباح إلى قرار صارم . كان عليها الإتصال بجاريث لترى ما إذا كان ممكنا التوصل إلى اتفاق ما بشأن رؤية ماتيو .

أولا ، عليها أن تعرف سبب طلب بريان لانجدون بها . واتصلت برئيسها ولحسن الحظ كان يعمل بالمكتب دون الخروج مع العملاء .

« لورا . كيف يسير البحث ؟ هل صادفك الحظ ؟ »

بريان يعرف السبب الحقيقى لاختيارى باث لقضاء الأجازة ، هو وزوجته هما اللذان يعرفان السبب . هذا ما خفف عنها جدا ومكنها من صب كل قصتها برمتها لأحد يتفهم ، وفرحه الواضح فى أخبارها لمسها بشيء من العطف والحنان .

ـ قالت : « إن الفندق به رسالة تقول إنك حاولت الاتصال بى . هل هناك شيء عاجل ؟ »

ـ قال : « آهـ ، نعم ، تم إعداد الندوة . . » ثم انعطفت المحادثة إلى ما يشبه محادثة عمل .

وأضاف فى النهاية : « شكرا يا لورا وسأستطيع النجاح الآن بمساعدة ميكى » .

ـ « كيف تتناول الأمر » ، حيث كانت لورا مسئولة عن تدريب الفتيات الصغيرات وكانت تشعر بالاهتمام بتقدمها فى العمل .

ـ قال رئيس العمل : « إنها تقوم بالعمل بصورة رائعة . ولن يحدث ليحتى تعودى وتقومى بكل شيء بمفردك . حسن ، إنه من الأفضل تركك فى أجازتك . آسف لأننى أزعجتك هكذا » .

ـ « وهو كذلك » ، قالت له لورا وابتسمت لنفسها وهى تتذكر الحدث الذى قاطع رسالته .

ـ « حظ سعيد . مع كل شيء . ودعينى أعرف كيف تسير الأمور ، هل تدعينى أعرف ؟ »

ـ « بالتأكيد ، سأفعل . »

إستغرقت المكالمة الهاتفية وقتا أكثر مما توقعت . لو ذهبت إلى جاريث الآن سيكون الوقت وقت تناول الغداء قبل وصولها ولم تكن تريد أن تظهر بأنها عرجت إلى المنزل لأجل دعوة غداء أخرى . قررت أنه من الأفضل مشاهدة المحلات فى هذه الفترة ، وتتناول طعام الغذاء مبكرا قبل زيارتها . فالتأجيل ربما يعطيها فرصة لترتيب مناقشاتها لتعرض القضية على جاريث وهى السماح لها برؤية ابنها ثانية .

www.elromancia.com

توجهت بعد العشاء إلى اتجاه شارع رويال . تفكر طوال الطريق فيما ستقوله لجاريث عندما تراه ـ دائما تفترض بالطبع أنه سيوافق على الحديث معها .

وصلت أليسون إلى الباب ، وابتسمت إلى لورا حيث تعرفت عليها فورا هذه المرة . لكن ابتسامتها لم تفلح فى إخفاء الفضول الذى فى عينيها واندهشت لورا من كيفية معرفة هذه المرأة الشابة بعلاقتها مع جاريث .

ـ « أهلا يا أليسون . هل يمكننى التحدث مع جاريث ، من فضلك ؟ »

ـ « آسفه ، ليس موجوداً . هل نسى أن يخبرك بأنه رحل ؟ »

ارتجف قلب لورا من القلق . « رحل » كررت هذا فى انزعاج ، وظننت فى أول الأمر أنه غادر باث لمصلحة . أو على الأقل إلى أن تعود إلى الشمال . ونزعت ابتسامة إلى أليسون . « نعم ، لابد وأنه نسى أن يذكر ذلك . وهل سيستغرق مدة طويلة ؟ »

ـ « لمدة يومين . سيظهر على شاشة التليفزيون الليلة فى برنامج « بوبى فانديك » . إنه مثير أليس كذلك ؟ »

ـ « نعم ، إنه كذلك . وسأشاهد البرنامج » . حيث ابتسمت لورا .

ـ « وأنا كذلك . دائما يكون جاريث جيدا فى عروض كتلك . ولديه دائما شىء ممتع ليقوله بدلا من الإعلان عن كتابه أو فيلمه الأخير مثل قدر كبير من الضيوف » .

ـ « حينئذ ، متى تتوقعين عودته إلى باث ؟ »

ـ « ربما بعد غد . قال إنه سيزور صديقين بينما هو فى لندن » .

ـ « سأعود بعد ذلك » .

لم يكن هناك لدى لورا ما تقوله ، ولكنها ترددت لحظة عند الباب . تشوقت

لأن تسأل عن وجود ماتيو فى المنزل ولكنها خمنت ما سيكون رد فعل جاريث لو أنها ذهبت إلى المنزل من ورائه لرؤية طفلها . إن أزمتها غير متوقع حلها عن طريق ماتيو نفسه الذى يهبط الدرجات وهو يقفز إلى الباب الخارجى دون طاقة منهكة .

ـ « أهلا » حيث قام بتحية لورا كما لو أنه عرفها طول حياته الصغيرة ، بابتسامة مشرقة أذابت قلبها . هذا الأمر لمس قلبها دون حدود وهو أن ابنها المفقود قد قبلها كصديقة .

ـ « أهلا يا ماتيو . هل ستطعم البجع ثانية ؟ »

ـ « ليست هذه المرة . سوف تأخذنى جدتى إلى الحديقة . سأذهب إلى الأرجوحه والزلاقات والتنزه ثم أتناول الشاى مع جدتى ونتناول كعكه الآيس كريم و ـ »

وصلت آماندا رايدر فى وسط المحادثة وتبع جدته إلى أسفل . « لو قفزت مثل هذا فإنك ستسبب صداعا للمسكينة مسز ستيفنس ، واصمت » .

صمت ولو كان دون رغبته . والقت آماندا بالتحية إلى لورا بابتسامة متحفظة :

« أهلا ، هل أتيت لرؤية جاريث ؟ »

ـ « نعم . لكن يبدو أنه فى لندن لمدة يومين . »

ـ هزت آماندا رأسها وقالت : « ذلك ما يسمى بعروض المحادثة . لا أعلم كيف يتوقعون من المسكين أن يجد وقتا ليكتب المزيد من الكتب ، وهم مستمرون فى طلبه لظهوره على الشاشة الصغيرة » . ربتت على شعر ماتيو بيد حانية ، وخفت حدة تعبيرها . « لم يعطنى الفرصة لأرعى هذا الصغير لبضعة أيام . وأليسون يمكنها الراحة التى هى فى حاجة إليها » .

ـ هل نحن ذاهبون إلى الحديقة ، السنا كذلك يا جدتى ؟ قال ماتيو الذى وجد أن ذلك الحديث كله سيضيع الوقت .

نظرت أماندا إلى حفيدها وقالت : أظن من الأفضل الذهاب وإلا لن يكون هناك سلام بالنسبة لأى شىء » .

ـ « ها هى حقيبته يا مسز رايدر » .

ـ « أشكرك . قل إلى اللقاء إلى أليسون يا ماتيو » .

نظرت أماندا إلى لورا وسألتها : « أتودين الحضور معنا إلى الحديقة ؟ »

اتسعت عينا لورا . كان هذا آخر شىء تتوقعه من والدة جاريث أن تقوله لها .

ـ وسألت لورا : « إن لم يكن لديك مانع ؟ »

ـ « لا . وستؤدين لى خدمة حقيقة إذا وفرت نصف ساعة لتراقبى ماتيو وهو يلعب . لقد كبرت سنا لأجرى وراء ذلك الصغيره جدا على تركه يلهو بمفرده » .

لم تستطع لورا التظاهر بفهم دافع المرأة العجوز من وراء دعوتها للإنضمام إليهما ولكنها أسرعت بالموافقة على أية حال وقالت : « أود ذلك . أشكرك » .

إمتنانها البادى فى صوتها جعل أماندا تنظر إليها عن قرب لكنها لم تبد أى تعليق . سار الثلاثة مع بعضهم بضع لحظات إلى الحديقة وكان ماتيو بينهما .

كان بعد الظهر وقتا رائعا . أسعد ما فى حياة لورا منذ سنة طويلة . وبمجرد وصولهم إلى الملعب رضيت أماندا بالجلوس على مقعد فى أشعة الشمس وتتحدث مع جده أخرى . لورا وماتيو ذهبا ليفعلا ما يحلولهما حيث كانا منطلقين بحرية . ومضت ساعة قبل أن يعودا ويدها ممسكة بيد ماتيو واتجها إلى مقعد أماندا حيث كانت جالسه بانتظارهما . بدأت عينا أماندا فى اللمعان عندما لمحت وجه المرأة

الشابة متوردا وقالت : « أنت تبدئين قضاء فترة بعد الظهر وهى فترة متوردة بالنسبة لك » .

قالت لورا : « نعم . » وهى تبتسم ، وشعرت بسعادة غامرة وأضافت : « لم أعرف ولدا صغيرا مثله مفعما بالحيوية » .

وهزت أماندا رأسها بحنان . وقال ماتيو : « إستمتعت بكل دقيقة » .

ـ « حسن » . ثم التفتت أماندا إلى حفيدها الذى ينتظر على مضض وقالت له : « هل أنت مستعد لتناول الشاى ؟ » كما لو أنها تعرف رده مقدما .

ـ « نعم » .

ـ ردت أماندا بالإجابة الصحيحة : « نعم ، من فضلك » .

ـ « هل ستأتى لورا ؟ »

ـ ردت أماندا : « لا أرى ما يمنع . » وأضافت : « من الأفضل أن تسألها بنفسك ، ألم تسألها ؟ »

ـ وضع يده الصغيره فى يد لورا وقال : « أتأخذين الشاى معنا ؟ من فضلك؟»

دقت أجراس التحذير فى ذهن لورا . وهو أنها عرفت أنه كلما اقتربت أكثر من طفلها الآن ، كلما كان الأمر صعبا بالنسبة لها عند ما يكون عليها تركه . ولكنها لم تجد وسيلة لرفض الدعوة .

واشترت حقيبة من الكعك بالآيس كريم الذى يفضله ماتيو فى طريق العودة إلى شقة أماندا وتناولوها بينما يشاهدون فيلم كرتون فى تليفزيون الأطفال . ووجدت لورا أن هذا بمثابة دعوة أساسية ، ولم يكن هذا هو صرف متوقع من أماندا رايدر . بدت المرأة العجوز صارمة دائما .

لم تبد أماندا أو ماتيو متحمسين لترك لورا ترحل . ساعدت لورا فى أن تعطى إبنها حماما وتم السماح لها بالقراءة له قصة فى السرير ، وشعر ماتيو فجأة بالنوم ولكن لورا ظلت بجانب السرير لمدة طويلة تراقبه وهو فى سلام وهو يحلم .

استقبلتها أماندا بابتسامة ودية عند عودة لورا إلى حجرة الصالون . « هل نام، أليس كذلك ؟ » « هذا حسن » إنه عزيز عندى لكنه متعب ماعدت صغيرة لأتعود على ذلك » .

ـ قالت لورا بدفء : « أنت رائعة معه » .

ـ « إنى أفعل ما فى وسعى » .

ـ قالت لورا : « من الواضح كم ترعينه . لا فكرة لديك كم هذا يعنى بالنسبة لى أن يكون إبنى حوله ناس يحبونه ويعتنون به كثيرا جدا . حتى ولو لم أكن معه ـ » وأضافت : « ربما يجب على أن أذهب الآن » .

ـ « فيمَ العجلة ؟ » نظرت إلى لورا وأردفت : « أظن أننا نعمل بعض الساندويتشات والقهوة ثم نشاهد عرض « بوبى فانديك » معا » .

إلتفتت لورا إلى وجه والدة جاريث وسألتها : « لماذا تفعلين ذلك ؟ » .

قالت أماندا : « خمس سنوات مدة طويلة ، يمكن للناس أن تتغير ، وأحيانا يندمون على بعض الأشياء التى حدثت فى الماضى » .

ـ « أسفت على كل الألم الذى تسببت فيه أسفا كثيرا » .

ـ هزت أماندا رأسها وهى راضية وقالت : «ولنترك ذلك الآن ، هل نعمل الساندويتشات والقهوة ؟»

ـ « كما ترغبين . »

ـ « حسن » .

استمتعت لورا بالأمسية ، وشاهدت مع أماندا التليفزيون عندما ظهر جاريث فى البرنامج ، وبدا مميزا بملابس السهرة ، ووافقتا على أنه نجم السهرة بأسلوبه السلس وإجاباته الذكية على الأسئلة الموجهة إليه . جلست بعد انتهاء العرض تتجاذبان أطراف الحديث وهو ما كان من المستحيل أن يحدث منذ بضع سنوات . إستعدت لورا للإنصراف ودعتها أماندا لأن تحضر اليوم التالى بعد الظهر .

وصلت لورا اليوم التالى رغم المطر وهلل ماتيو وجدته . وقالت الجده وهى تأخذ معطف لورا المبلل من ماء المطر « لا أستطيع أن أجعل جيرانى يرون وجهى بسبب قفزات ماتيو ، لما لا تأخذ لورا لتجعلها تشاهد قطعك الخشبية ؟ » .

أمسك ماتيو بيد لورا وجذبها إلى حجرة الصالون ليجد القطع الخشبية بينما ذهبت أماندا إلى المطبخ الصغير لتلقط أنفاسها وتعد الشاى لأجلها ولورا .

فترة بعد الظهر هذه تعتبر فترة بهيجة بالنسبة للورا مرة ثانية ، ولعبت معه بالقطع الخشبية . ثم وجدت بعض الأوراق وقلم رصاص وأمتعت إبنها برسم سلسلة كاملة من الناس مشغولين بالرياضة بدءا من كرة القدكم إلى المشى فوق القمر .

علقت أماندا وقالت : « هذا جيد جدا » وحضرت لتنظر مع ماتيو .

ـ ضحكت لورا عندما نظرت أماندا إلى الرسومات وقالت لورا « ليست فنية بالضبط » .

ـ وقال ماتيو : « ارسمى لى المزيد » .

ـ « قل من فضلك ، يا ماتيو » تكلمتا لورا وأماندا تقريبا فى صوت واحد .

وخجلت مما قالته لورا وأدركت أن هذا ليس من شأنها لتصحح لابنها . لكن أماندا ضحكت فقط ، ثم قالت : « يوماً ما سيتذكر » .

قامت لورا برسم المزيد من الصور . وقام ماتيو بإحضار كتب القصص عندما وجد لورا متميزة فيما ترسم بعد ذلك ، وأصر على أن يقرأ القصص للورا ، وهى قصص بسيطة مليئة بالصور والكلمات ، ومازالت لورا متأثرا بقدرته . من الواضح أنه ذكى وهى فخورة به . ولم يبقى للورا سوى أن تمسك بذراعيها وتحضنه . عرفت أنه يجب أن تستكمل معه القصص ، وأنها لا أكثر من صديقة للعائلة ، لكن هذا الأمر يزداد صعوبة كلما تمر الساعات . وتخلت عن التفكير فيما يحدث بعد انتهاء الأجازة وعليها العودة إلى إدنبرج .

إلا أنها فى هذا الوقت على الأقل لديها ابنها لوحدها . عادت أماندا إلى المطبخ ثانية لاحضار وجبة العشاء بينما لورا تجلس مع ماتيو الذى يقرأ قصة عن الدبة لعاشر مرة تقريبا . وكانت تستمتع بالطريقة التى يميل بها إبنها على كتفها ، وحركت لورا ذراعها قليلا لكى يستريح الصغير بصورة أكبر ، ونظر إليها ماتيو ومنحها ابتسامة تشع حبا .

انفتح باب البهو ووقف جاريث هناك ينظر فى دهشة إليهما .

لم يتحرك أى منهم بعد لحظة طويلة من المفاجأة . ألقى ماتيو بكتابه وقفز ليصرخ ويقول : « والدى . والدى » بأعلى صوته وهو يهرول نحوه .

أمسك به جاريث واحتضنه بصورة تلقائية ، لكن عينيه مازالتا مثبتتين على لورا .

اعتدلت لورا فى جلستها وقالت : « أهلا يا جاريث » .

وقبل أن يرد ، أخبره ماتيو : « دادى ، كنا نرسم الصور . لورا يمكنها رسم ناس كبار لكنها لا تعرف الكثير عن كرة القدم » .

لاحظت لورا أنه يعطيه انتباهه كلية وصار الطفل يقص على والده ما حدث من مغامرات مع جدته ولورا بعض الظهر بسرعة لكى لا ينسى التفاصيل .

قال جاريث « يبدو أنك قضيت وقتا جيدا . وما رأيك الآن أن تخبر جدتك أننى هنا ؟ » .

انتظر صامتا حتى غادر ماتيو الحجرة ولم تنزل عيناه عن لورا مما جعلها تخمن أنها لابد تبدو مذنبة . ولم تستطع الكشف عن تعبيرات جاريث .

عندما تكلم جاريث أخيرا كان صوته لا يدل على أى تعبير وقال : « لو سمحت تخبرينى بما تفعلين هنا ؟ » وكان سؤال يخلو من المجاملة .

لحسن الحظ ، حضرت أماندا وماتيو لينقذاها من محاولة تفسير وجودها . قالت والدة جاريث بهدوء : « أهلا يا جاريث » ، وبدت كما لو لم تندهش من رؤيته يوما مبكرا عما كان متوقعا . وأضافت : « لم نكن نتوقع رؤيتك حتى باكر على الأقل » .

ـ « قررت العودة إلى المنزل مبكرا . وربما كان من الأفضل ما قمت به . » قال جاريث وهو ينظر فى اتجاه لورا .

ردت والدته وقالت : « نعم هو ذلك ، والآن يمكنك الإحتفاظ بابنك بينما لورا تساعدنى فى إعداد المائدة » .

رحبت لورا بالفكرة حتى تواتيها الفرصة للخروج من الحجرة لخوفها من أن يلقى جاريث بها خارج المنزل .

إنها بمجرد أن تم إغلاق باب المطبخ وراءهما أشارت إلى أماندا « ربما من الأفضل لو أرحل الآن » .

ـ « ماذا ؟ أظن أنك أمضيت وقتا ممتعا مع ماتيو ؟ »

ـ « نعم ، هو كذلك . لكن جاريث غاضب من أنى هنا » .

ـ قالت أماندا : « كلام فارغ » .

ـ « أنت لم تشاهدى الطريقة التى كان ينظر بها نحوى عندما حضر » .

ـ « حسن ، هذه شقتى ، ولسوف أدعو من يحلو لى أن أدعوه ويزورنى . لا صلة لهذا بجاريث » .

ـ « لكننى لا أريد أن أسبب مشكلة بينك وبين إبنك » .

ـ « لا تقلقى يا عزيزتى ، هناك فرصة بقدر كافٍ لهذا . ولا تقلقى حيال جاريث أيضا . ليس غاضبا حقيقة » .

ولم تسمح أماندا للورا بفرصة التساؤل وأعطتها كومة من الأطباق وطلبت منها التوجه لوضعها على المائدة لأجل العشاء .

بقية الأمسية كانت أقل توترا مما كانت تتوقع فى بدايتها . أخذ ماتيو يثرثر كالمعتاد وبالطبع خفف من التوتر بين الثلاثة الكبار . جاريث نفسه عامل لورا كما لو أنها صديقة والدته وقد دعتها لتناول الشاى لا أكثر ، مما سهل عليها الأمر لتتعرف طبيعيا .

عندما نهضت للرحيل نهض جاريث على قدميه كذلك وعرض عليها : «سأمشى معك » . دون أى حافز من أماندا هذه المرة .

ـ اعترضت لورا قائلة : « لكن المطر سيبللك » .

ـ « لقد توقف المطر منذ ساعتين . ألم تلاحظى ؟ » وكانت عيناه تبرقان .

شعرت بأنها حمقاء ، لم تكن متأكده من سبب محاولتها تعطيل مصاحبتها . إنه من المؤكد أن المشى إلى الفندق معا سيعطيها الفرصة التامة للحديث معه عن ماتيو .

كانت الشوارع نظيفة ولامعة من المطر الغزير والهواء البارد المنعش . كانت ليلة جميلة ، وشعرت لورا بفورة كاملة وغير منطقية من السعادة وهى تسير بجانب جاريث . تحدثا عن عرض التليفزيون فى الأمسية السابقة . كان مهتما بسماع رأيها

فى صورته فى العرض التليفزيونى وجعلها تضحك من القصص خلف المشاهد فى الاستديو . وصلا إلى الفندق قبل أن تثير الأمور الهامة جدا والتى أرادت مناقشتها معه .

سار معها إلى داخل بهو الفندق وانتظر بينما تحضر مفتاح حجرتها . وتوقعت لورا أنه سيقول مساء الخير ويرحل . لم تكن متأكدة فيما تفكر فيه عندما تبعها فى هدوء وصعد معها درجات السلم وانتظر وهى تضع المفتاح فى الباب ولم تعد أصابعها ثابتة وهى تفتح الباب .

عندما انفتح الباب فجأة التفتت إلى جاريث ونظرت إليه . تصبح على خير يا جاريث ، شكرا ـ » لكنها لم تنه كلماتها لأنه جذبها بشدة بين ذراعيه وأسكت أيا ما تقوله بقبلة عاطفية .

تاه الإثنان عندما لمست شفتاه شفتيها . كانت كيمياء الحب التى جذبتهما إلى بعض منذ ذلك اللقاء الأول ، والجذب الكهربى لازال ملتهبا بينهما بقوة كما كان . والتفت ذراعا لورا حول جاريث تحت جاكتته الصيفية الخفيفة وضغطت بجسمها على جسمه بصوت خفيف من السرور . وكلما اقتربا كلما شعرت بقوته وشعرت بالبهجة تسرى فيها فى موجه بدنيه وهو يجمعها فى ذراعيه ويغطى كل وجهها وفمها ورقبتها بقبلات صغيرة جائعة لاسعة .

عندما رفع رأسه أخيرا كانت فاقدة السيطرة على وعيها الذى أصيب بدوار . وجدت نفسها متعلقة به وأصابعها فى شعره الكثيف وجسمها يرتعش بين ذراعيه .

ـ « جاريث ، آه يا جاريث » همست لورا بذلك .

وقفت على أصابع قدميها لتبحث عن فمه ثانية لتتذوقه . حركت طرف لسانها لتحدد شفتيه وأحست بالفوران خلال جسمه كله . لم يختلف بالنسبة لها .

لكنها عندما كانت متأكدة من أنه سوف يقبلها ثانيه وبينما تتشوق شفتاها إلى لمسة شفتيه ابتعد عنها فجأة برأسه ليقطع الاتصال العاطفى جدا برمته بينهما .

ـ إجتحت قائلة : « جاريث ؟ »

ـ « لا . لن يفلح هذا يا لورا » قال بهدوء .

لا يسعها سوى أن تحملق فيه ، ومشاعرها مثارة من القبل العاطفية التى تبادلاها لدرجة أنها لم تستوعب ما يبدو أنه سيخبرها به .

بدا فجأة غاضبا بشدة . « هل تظنين حقيقة أنك يمكنك الإنطلاق ثانيه إلى حياتى بعد طوال تلك السنين كلها ، وتتوقعين كل شىء أن يكون هو نفسه بيننا؟» سألها جاريث بحرارة .

ـ « لا ليس هو نفسه ، لا . لكننى أظن ذلك قد يكون لو أراد كلانا ـ »

ـ « لا أريدك » . لا يوجد أى أثر للتخفيف فى صوته الآن . تلك المذكرة الثلجية من الازدراء كرهتها . « لقد تغيرت فى السنين الماضية ، يا لورا . لا يمكن أن تستغفلينى بحيلك اللطيفة الصغيرة بعد ذلك . . » .

ـ « لم أحاول أبدا التحايل عليك . . » .

ثم دار على عقبيه وخرج من الحجرة تاركا إياها مع ذلك الاحتجاج القاسى يخبو على شفتيها .

الفصل السادس

رنين جرس التليفون المستمر أيقظ فى النهاية لورا من نوم الصباح الثقيل . التقطت التليفون وكادت تطيح بجهاز التليفون من أعلى المنضدة التى بجوار السرير ووضعت السماعة على أذنها .

ـ « نعم ؟ » .

ـ « مس بريانت ؟ » استفسر الطرف الثانى .

هزت لورا رأسها بالموافقة وهى نعاسة قبل أن تدرك أنه ما من أحد يمكن أن يراها .

فقالت : « نعم » .

ـ « سأمر عليك » .

رغم ما حدث الليلة السابقة لا زال قلبها يقفز قفزات كهربائية عندما تعرفت على الصوت الذى على الطرف الآخر من المكالمة . استيقظت جدا على الفور وجلست على السرير والسماعة ملاصقة لأذنها .

ـ « أهلا ، يا جاريث » قالت لورا وهى تحاول أن يكون صوتها محايدا غير متأثر بشىء أيضا . أيا كانت تتوقع أن تقوله كاعتذار عن الليلة السابقة أو طلب الابتعاد عن منزله لكنها من من المؤكد لم تتوقع دعوة لأن تنضم إليه وماتيو فى نزهة

www.liilas.com

على شاطىء البحر . وأضاف : « كان ذلك اقتراح ماتيو بأن تأتى معنا » . ونغمة صوته توحى بأنه ما كان موافقا على الاقتراح إطلاقا .

هذا لم يفعل شيئا ليثبط من الإرتفاع الصاروخى للروح المعنوية للورا . طلب ماتيو لأن تنضم إليهم ! وكان جاريث يمكنه بالتأكيد أن يرفض طلب ابنه لو شعر أن ذلك بقوة بشأن ضمها إلى حزب العائلة . قالت لورا بسرعة خوفا من إحتمال رأيه : « أود أن أحضر » .

ـ « متى يمكن أن تكونى مستعدة ؟ » .

نظرة سريعة إلى ساعتها أوضحت التاسعة إلا خمس دقائق . لا عجب أن موظف الإستقبال أبدى استنكاره ، فإدارة الفندق تحب أن يكون كل النزلاء خارج المبنى بعد الإفطار مباشرة ، وها هى لم تغادر حتى السرير بعد .

ـ أشارت لورا : « هل تسمح لى بنصف ساعة ؟ » وإذا أسرعت فيكون لديها وقت لالتقاط فنجان قهوة فى المقهى عبر الطريق قبل أن يصل جاريث .

رنت ضحكة جاريث المفاجئة وغير المتوقعة فى أذن لورا : « هل يمكن الإستعداد فى نصف ساعة ؟ هل هذا تحسن جديد يا لورا ، أم شىء آخر؟ » .

ـ « سأكون جاهزة » .

ـ « سنرى ذلك . لكننى أحذرك ، لن ننتظرك . إن لم تكونى جاهزة فسوف نرحل دونك » .

لم تكن لورا فى حاجة إلى هذا التهديد ليدفعها . قفزت من السرير واغتسلت وارتدت ملابسها بسرعة حيث ارتدت الفستان الأصفر الليمونى ظنا منها كيف يعكس اللون الساطع مزاجها . وضعت بعض حاجاتها فى الحقيبة وهرعت إلى الخارج لتأخذ قهوتها ، وكانت جاهزة ومنتظرة على درجات سلم الفندق قبل بضع دقائق من حضور سيارة جاريث إلى الإفريز .

تعرفت على السيارة فى الحال ، الجاجوار الزرقاء الداكنة التى لاحظتها رابضة فى الشارع فى أول يوم شاهدت ماتيو . لم تكن متأكدة من أنها لجاريث . عندما عرفته كان يقود سيارة قديمة صغيرة ضيقة .

أنزل زجاج نافذة السيارة واستند لينظر إليها بتعبير كبير عن الدهشة . وأبدى ملاحظة حيث قال : « لم أصدق أن ذلك ممكنا » .

أدلفت لورا نفسها وجلست فى المقعد الأمامى بجواره ، وذكرته قائلة : « لورا المُحَسَّنة الجديدة » .

ـ « هائلة ! »

استدارت لورا لتبتسم إلى إبنها فى الخلف . « أهلا ، يا ماتيو . أين نحن ذاهبون ؟ » قال ماتيو بحماس : شاطىء البحر ، أحضرت دلوى والمجراف ، أنظرى إليهما » . « أسرعت بالسيارة ، وأتمنى لو لم تستائى ، ولكن هذا لئلا يتعب ماتيو من السفر وهو فى خلف السيارة » .

لم يكن لدى لورا اعتراضات على الإطلاق للذهاب إلى شاطىء ويستون . لم تظن أن المد يتراجع لدرجة أنهم قلما يمكنهم تمييز الماء على بعد . ولم تعبأ برعشة النسمة القليلة التى تنشر الرمل فى كل شىء . كل ذلك بالنسبة لها جديد ومضحك . ساعدت ماتيو فى بناء قلعة رملية كبيرة على الشاطىء ، وأخذته ليركب الحمير واللهو . إنه يوم إنقضى ، بضع السنوات الماضية كانت وحيدة وصعبة والمستقبل لازال فى المجهول . لكنها فى تلك الساعات القليلة أمكن أن تغمس نفسها فى إشارة أن ثلاثتهم كانوا عائلة عادية تستمتع بيوم فى الخلاء .

تناولوا السمك ورقاقات البطاطس المقلية وتركوا ماتيو يختار . لكنه رغم الوجبة الضخمة كان ماتيو جائعا فى أقل من ساعتين مرة ثانية . تحت إلحاحه توقفوا عند مطاعم كثيرة واشتروا له حلوى بالآيس كريم عليها مكسرات وسائل

الشيكولاته . عندما رأى والداه هذا توقفا لأجل فنجان قهوة لكل منهما .

نظر جاريث إلى لورا بينما كان جالساً فى مقعده بانتظار أن يفرغ ماتيو من الأكل . ظل ينظر إلى ذراعى لورا الذهبيتين الناعمتين وكتفيها اللذين لا يغطيهما الفستان الصيفى قبل أن تستقر نظرته على وجهها . هذه أول مرة ينظر إليها جاريث طويلا كرجل ينظر إلى إمرأة جذابة وشعرت فجأة أنها خجولة تحت حملقته المكثفة . وقالت : يجب أن أذهب وأهندم نفسى . بسبب الهواء الذى يداعب شعرها حول وجهها .

ـ « لا ، لا تذهبى » .

بينما كان جاريث يتكلم مال إلى الأمام ليأخذ يدها المرتجفة فى يده فوق المنضدة . رمقته لورا بنظرة سريعة باهتمام ناحية ماتيو وكان يتناول الآيس كريم بالملعقة وهو يركز باهتمام نظره إلى ما قد يفعله والداه .

جاريث قال : « لم تعتادى على أن يكون شعرك مثل هذا » وكان صوته منخفضا مما أفصح تعليقه عن الود . « لماذا قمت بالتغيير ؟ » .

ابتسمت لورا وتذكرت الخصلات التى كانت تتركها منسابة فى أيام الشباب وعدد المرات التى ذهبتها إلى الكوافير . « وهذا يوفر نفقات قص الشعر . »

كانت لورا تتوقع أن يضحك جاريث عليها بالنسبة لذلك الأمر مثلما ضحك عندما شاهدا الفندق الذى تقيم فيه .

ـ « أخبرتنى بأنك ناجحة بقدر كاف ماليا . هل كان ذلك حقيقيا ؟ ألم تخبرنى إن كانت نقودك قد نفدت ، ألم تخبرينى بذلك ؟ » .

ـ « أعرف ذلك . لكننى أستطيع تدبير نفسى جيدا بنفسى ، أشكرك . إنى أتقاضى مرتبا محترما الآن ، هل تدرى ذلك » . أضافت لورا قائلة ولم تستطع منع شىء معين من الكبرياء يزحف على صوتها .

كان جاريث غير مقتنع . وسألها : « حينئذ لماذا تتجولين مثل الفقير ؟ »

« لا أفعل ذلك الشىء » وثارت لورا جدا وأضافت : « لم تكن لديك فكرة كم من المال أنفقته طوال سنوات فى عملية البحث . » ونظرت إلى ماتيو الذى مازال منغمسا فى الحلوى . وأضافت : « لم يكن هناك مال متروك لأجل الملابس الفاخرة والفنادق الفخمة والكوافيرات » . ثم صمتت لورا لأنها لم تكن تعنى أن تخبره أى شىء عن ذلك .

ـ « لم أعرف ذلك . أنا آسف يا لورا » حيث تغير كلام جاريث بسرعة .

هزت لورا كتفيها وقالت : « لا يهم » .

ـ صمت جاريث لحظة طويلة ثم قال بهدوء : حينئذ لن ينضب المال منك بعد ذلك » .

ـ « لا » .

ـ « لذا يمكنك الذهاب إلى الكوافير ثانية » .

ـ « نعم ، أعتقد أنى سأذهب » .

ـ قال جاريث فجأة : « لا تدعيهم يقصون شعرك . أحب طريقة تسريحتك الآن . إنها جميلة » .

ـ « أشكرك » .

ظل جاريث ينظر إلى يدها يتفحصها . ولم تستطع لورا الكف عن تذكر مدى جمال يديها التى كانت محافظة عليهما . فهما الآن أيدى من تعمل لأجل العيش .

ـ « لقد تغيرت يا لورا » .

ـ « نعم . ومنذ مدة طويلة ، وماذا تتوقعه أيضا ؟ » .

ـ « لا أعنى شيئاً فى مظهرك . لقد تركت المنزل ، ووجدت لنفسك عملا جيدا . لا أستطيع الكف عن الاندهاش ـ وما عمق التغييرات ؟ » .

تقابلت عيناهما ، وسألته : « أتريد أن تعرف ؟ » .

ـ قال جاريث بتصميم : « لا » . واستمر فى قوله : « استغرق الأمر وقتا طويلا . وتغلبت فى النهاية على الألم الذى تسببت فيه لى . وتعلمت درسى الآن . لن أدع نفسى معرضا لذلك النوع من البؤس » .

ـ « لم أقصد أبدا أن أسبب لك الأذى » . وكانت الكلمات تنساب من فمها قبل أن تدرك أنها لم تكن حقيقية تماما . وكانت أفكارها وعواطفها تتركزان على نفسها . شعرت بأنها ضائعة ومغرر بها ، المشاعر التى دفع بها والدها بمهارة تراها الآن . « ولم أتوقف أبدا عن التساؤل عما يمكن أن تمر به » . لم تدرك أنها تكلمت بصوت عال حتى شعرت برد الفعل فجأة من خلال اليد التى مازالت ممسكة بيدها .

« لورا ـ لو ظننت فى الحقيقة ـ » بدأ جاريث مسرعا فى حديثه . وبعد ذلك بدا أنه يغير رأيه فيما كان سيقوله وتوقف قليلا . أنزل يدها ونظر إليه ابنه .

ـ « ماتيو مازال هناك المزيد من الشيكولاته على وجهك أكثر مما أكلت . توقف لحظة لكى أنظفك » .

أخرج منديلا من جيبه وتقدم ليسمح الوجه بيده الخبيرة بينما لورا لم تستطع سوى أن تجلس وتراقبهما وشعرت بأنها بعدت عنهما . وتساءلت بحزن عما إذا كان هذا ما يعتزم أن يجعلها تشعر به .

تم تكريس باقى اليوم لأجل ماتيو . طلب ما يريد يفعله واختار بدون تردد ، وهو رحلة للمزاح والاستمتاع بالممرات فى نهاية الجسر . أمضى هنا ساعة مرحة بعيدا عن انتباه الاثنين مما جعلهما ينصرفان للتركيز عليه لئلا يضيع فى الزحام .

تساءلت لورا من أين طاقة الصغير ذى الأربع سنوات التى لا حدود لها .

لعب الثلاثة فى الملاهى حيث أصر ماتيو أن تركب معه سيارة الملاهى ويطاردان جاريث فى الدائرة .

لم تكن لورا آسفة ومازالت مهزوزة فى أعماقها التى ظهرت عليها . وإنها بالنظر إلى علاقتهما السابقة يمكنها أن ترى كم هى أنانية الآن حتى فى حبها لجاريث حيث تفكر فقط فى مشاعرها فقط وليس فى مشاعره أبدا . والآن قد فات الأوان . لقد نجحت فى تدمير كل مشاعر جاريث العالية تجاهها . كان جميعهم فى هدوء وهم فى طريق عودتهم إلى المنزل . جلست لورا مع ماتيو فى المقعد الخلفى فى السيارة وبعد نصف الميل الأول خلد ماتيو إلى النوم . أمسكته بين ذراعيها وهو نائم حيث تشعر برأس الصغير على كتفه .

كان ماتيو مازال نائما عندما وصل جاريث إلى المنزل الذى فى شارع رويال ولم يستيقظ عندما أخذه بين ذراعيه .

قال جاريث : من الأفضل أن تدخل لحظة . لا أستطيع توصيلك حتى أطمئن على ماتيو » . بعدما ناقشت الأمر مع نفسها قررت لورا أن هذه لم تكن اللحظة لتأكيد استقلاليتها الجديدة وأوضحت أنها قادرة تماما على أن توصل نفسها إلى المنزل . قامت بجمع دلو الرمل والجاروف الخاصين بابنها وكذلك حقيبتها ، وتبعت الإثنين إلى الشقة .

بدأ جرس التليفون يدق وكان جاريث يحمل ابنه النائم إلى حجرة نومه . نظرت لورا إلى الهاتف متسائلة إذا كان ينبغى عليها الرد أم لا .

حل جاريث هذا المأزق لها . « رد على التليفون ، ممكن ؟ » حيث طلب منها من خلال الباب المفتوح .

إنها أليسون . لن تندهش تماما لسماعها لورا ترد على التليفون فى الشقة . «

«جاريث هل هو مشغول ؟ آه ـ وهو كذلك . لا تشغليه . أيمكنك أن تبلغيه رسالة من أجلى ؟ أخبريه أن دراجة ديف تحطمت ثانية عبر تشينهام . وأخبريه أنا آسفه بحق من أنى مزعجة ، هل ممكن تخبرينه ؟» .

ـ «آمل أن تصلحوها تماما» .

ـ «آه . سوف نكون هناك ـ فقط لا أعرف متى . آمل فى أن لا يفسد هذا أمسيتكم على أية حال» .

تمنت لورا حظاً طيباً لأليسون ووضعت السماعة وذهبت لتخبر جاريث بالرسالة . وجدت جاريث يعد ماتيو للسرير ، مشاهدة ملاطفة الطفل النائم بصبر فى بيجامته الزرقاء طرد أى اعتبار آخر من ذهنها وتذكرت سبب وجودها هناك .

ـ «من كان على الهاتف ؟» .

ـ «أليسون» ومازالت عيناها مثبتتين على ماتيو قامت لورا بإخباره بالرسالة بالضبط .

ـ «تلك الفتاة ! إما تجد لنفسها صديقا جديدا أو تقنعه للحصول على وسيلة إنتقال من طراز يعتمد عليه . دائما الدراجة تتحطم وتظل أليسون عادة على بعد أميال من المنزل» .

«أليسون . .» همهم ماتيو وهو أكثر من نصف نائم .

ـ أمد له والده : «ستحضر فى الصباح» . ونظر جاريث إلى لورا والتقط على وجهها لمحة غيرة .

ـ همست : «لا تقل هذا» .

ـ «لم أكن لأقولها ، كنت أقترح إن لم تمانعى فى الانتظار حتى أجعل ماتيو يستغرق فى نومه ثم نتناول العشاء معا» .

أسرعت لورا فى الموافقة وهى تخفى دهشتها بقدر استطاعتها . ربما يعطيها هذا الفرصة التى تحتاج إليها لأجل p6يث هادىء مع جاريث بشأن ابنها .

«يمكننى البدء فى إحضار العشاء بينما تراقب ماتيو» قالت لورا .

ـ «شكرا . وتجدين كمية من الطعام فى الثلاجة» .

قررت لورا عمل وجبة بسيطة من الأومليت والسلطة ، وبينما تعد الطعام همهمت وقالت إنها بمفردها هذه الأمسية مع جاريث هو أمر يعتبر كمنحة غير متوقعة . لم تستطع أن تقول بالضبط إن ما تأمل فيه قد حدث بينهما ، التحدث بشأن ماتيو . أكثر من ذلك لم تدع نفسها تفكر فيه . وقالت : «أنا مثل أسطوانه مشروخة لم تكف عن إذهالى» .

حضر جاريث إليها وهى فى المطبخ ويداه فى جيوب البنطلون وأخذ يراقبها وهى تعد الطعام . طرق الباب طرقة خفيفة ليخطر عن وجوده ، ولم تدع ذلك يصرفها عن إعداد الطعام بصب البيض فى الزبد المذاب . «إن لم أكن قد تعلمت الطهى خلال السنوات القليلة الماضية لكنت مت جوعا من قبل» .

ـ «ألم بعد هناك مطاعم فاخرة ؟» .

ـ «ليس بمرتبى» أجابت بجدية .

ـ «ولا تلزمين الرجال أصقاءك بشراء وجباتك لأجلك ؟» .

ـ «لا على الإطلاق» .

ـ «ألم يكن هناك أحد خاص فى حياتك ، يا لورا ؟»

ـ «لا . ما من أحد خاص» قالت بأمانة .

لم تكن هناك فرصة للاستمرار فى هذا الخط من المحادثة لأن الأومليت جاهز. جهزت لورا البيض فى الأطباق . كانت تعى جيدا أن عينى جاريث عليها

تراقبان كل حركة تقوم بها ، واندهشت لوصول طبقيها على المائدة دون تعثر .

تناولا طعامهما فى المطبخ ، وكانت لورا مسرورة لمشاهدتها جاريث مستمتعاً بالوجبة الخفيفة . وتذكرت أنها فى السنوات الماضية لم تكن تعرف كيف تسلق البيض . إبتسم جاريث إليها وقال : « أتظنين أن هناك وقتا لعمل فنجان قهوة بنفس المهارة التى صنعت بها البيض . »

ـ قالت : « لم أكن جيدة حتى فى ذلك ، وأتذكر هذا » .

ـ « لا ؟ لابد وأننى كنت مفتونا لألاحظ هذا » .

توقفت لورا عن الأكل ، وبدت كما لو لم يعد لها شهية للأكل .

ـ تساءل جاريث : « هل تريدين قهوة ؟ » .

ـ « نعم ، من فضلك » .

وحملا فنجانى القهوة وذهبا إلى الصالون . لورا أخبرها إحساسها أن هذا هو وقت نموذجى لمناقشة إمكانيات رؤيتها ماتيو بصورة أكثر ، إلا أن الكلمات لم تخرج منها وخشيت من الأحلام . كانت تنظر إليه وهو لا يعى ذلك وهو يشرب القهوة ، استيقظت الذكريات فى ذهن لورا ، وهى ذكريات الماضى التى تحاول كبتها خلال السنوات المتداخلة . وجدت لورا أن جاريث قد تغير قليلا الآن ، ولا زال جذابا جدا ومرغوبا . شعرت لورا بإحساس مما يعد دليلا كافيا على أنها لم تكن محصنة من مغناطيسيته الشخصية الآن .

حولت نظرها عنه بسرعة ، ورغم ذلك لم يكن من السهل إختفاء الذكريات من ذهنها . تذكرت جاريث ممسكا بها ويقبلها ، وأخبرها بأنه سوف يحبها دائما . كم كانا سعداء معاذات مرة . لماذا لم تقاتل بضراوة أكثر للحفاظ على تلك السعادة ؟

دون دخل من ذهنها رفعت رأسها وبحثت عيناها عن وجه جاريث ثانيه . قفز قلبها وهى تراه الآن ينظر إليها . كان من القسوة التناقض بين الدفء وعاطفة ذكرياتها والغضب ، وضوء الحنق يشع فى حملقته . وضعت لورا فنجان القهوة وقامت لتسير عند النافذة . أى شىء تفعله لتهرب من تلك المرارة والفحص الذى لا يغفر من عينيه .

كانت الدنيا حالكة الظلام فى الخارج الآن . أمكنها رؤية الأضواء الساطعة للمدينة من مسافة بعيدة تعكس الوهج البرتقالى عبر سماء الليل . واستطاعت لورا أن ترى بوضوح صورتها التى بدت طافية على زجاج النافذة وأمامها الظلام .

هناك ظل آخر تحرك من خلفها وصارا مندمجين . يدا جاريث على كتفيها ممسكتين بها عندما حاولت لورا الابتعاد عنه إلا أنهما وقفا ينظران إلى بعضهما .

أحكم جاريث يديه فجأة وقال : « عليك اللعنه يا لورا ، كيف أننى لازلت أشعر بهذا الشعور نحوك بعد كل ما فعلته ؟ » .

تراقص قلب لورا عندما أدركت ما اعترف به . ولم ترد عليه ـ على افتراض أن هناك ردا . وقرأ جاريث عيناها إلى العمق ، وأحنى رأسه وقبلها .

أطبق فمه بقوة على فمها كما لو أنه يحاول معاقبتها بسبب الألم الذى سببته له فى الماضى . لفت ذراعيها حول عنقه وأصابعها تخللت شعره الكثيف وأمسكت بمؤخرة رأسه كما لو كان سيهرب منها .

ـ « يا ساحرة ، همس جاريث على شفتيها ، تذكرت الآن السبب فى أننى لا أريدك هنا فى المقام الأول . تعرفين دائما كيف تلتفين حولى » .

ركزت لورا على تقبيله ثانية وثانية لاشتياقها إلى ذلك وعرفت ثانية مذاق ذلك المثير . بدأ فمه يكتشف فمها بذلك الجوع الذى ازداد » .

فرحت عندما أدركت مدى قوتها على إثارته . وضحكت خفيفا ووقفت على

أصابع قدميها ليمكنها تقبيله ثانية بعنف ونهم من فمه ووجهه . ثم فجأة بالعاطفة المتغلبة عليها دفنت وجهها الساخن فى منحنى رقبته مما أطلقت تنهيدة طويلة من السرور التام وهى تشعر بذراعيه حولها يجذباها ناحيته .

وقفا هكذا لمدة طويلة . تنفست لورا بعمق رائحة جلد جاريث ، هامت إحساساتها كالذكريات القديمة والرغبات المتحدة خففت من دفاعاتها .

قال جاريث : « لورا » .

رفعت لورا رأسها لتنظر إليه لمدة لحظة وبدأت لورا تهتز لرؤيتها كيف تملأ عينيه للرغبة .

همس قائلا : « لقد نسيت كم أنت جميلة » .

بدأ يستكشف وجهها بيده ، ولمس بحنان منحنى جبينها وأنفها وشفتيها وذقنها كما لو أنه يتعرف على كل خطوط وجهها ثانية . واستمرت يده فى التحرك على امتداد رقبتها الساخنة وأصابعه تدلك جلدها تدليكا ناعما . حمالة إحدى كتفى الفستان انزلقت من على كتفها وحبست لورا نفسها فجأة لتوقف الشهقة عندما يمسى بيده منحنى ثديها مساً رقيقا .

ثم حملها بين ذراعيه واتجه بها إلى الكرسى الذى كان يجلس عليه قبل ذلك وجلس ولورا على رجليه . انزلقت حمالة الفستان الثانية مثلما انزلقت الأولى ثم شعرت بازدياد سرعة ضربات قلبها واستجاب جسمها للمسته . كان جاريث حبيبها الأول والأخير لها ولم يقترب منها أى رجل بأى صورة كانت .

ـ وهمس فى خدها الساخن : دائما كنت تحبين أن ألمسك مثل هذا ، أليس كذلك ؟ » .

ـ « نعم » .

لم يكن لديها تفكير فى محاولة إخفاء استجابتها . إن يديه الكبيرتين الرقيقتين تعرفان دائما كيف تثيران جسمها إلى درجة حمى البهجة .

ـ « وهذا ؟ » .

ثم مال برأسه وسار بشفتيه فى خط من القبل . قام بفك الرباط الأمامى للفستان بعدما فرغ صبره ودفعه جانبا . تأوهت لورا ، وخففت قبلاته من ألم اللهفة فى ثدييها لتشعل جوعا أقوى لا يمكن السيطرة عليه فى أعماق جسمها . شعرت بنار إشتياقها إلى أن يضاجعها بصورة مناسبة . قالت : جاريث » واستدارت خفيفا فى ذراعيه لتكون ملاصقه له بصورة أكبر لتشعر بجسمه القوى على جيمها . إحتياجها إليه يزداد بصورة لا تستطيع احتمالها . وتأوهت قليلا : أريدك جدا ، يا حبيبى » .

رفع رأسه وقال : « أهـ ، نعم ، تودين أن تظنى أنه باستطاعتك أن تجعلينى أنحنى أمام كل نزوة من نزواتك ، أليس كذلك ؟ » وأضاف بغضب قليل : «أتظنين أننى مجنون بجسمك الجميل الصغير لدرجة أننى أنسى ما قد فعلته حسن ، لن يفلح ذلك بعد ، يا حبيبتى » .

« عمَّ تتحدث ؟ » قالت لورا ولكنها كرهت طريقة اهتزاز صوتها وبدا عليها عدم استطاعة السيطرة على جسمها المرتعش .

نهض جاريث واقفا وأمسك بلورا ليجعلها تقف على قدميها . كانت ركبتاها خائرتين لدرجة أن أمسكت بظهر الكرسى لتحفظ توازنها .

قال بفظاظة : « أخبرتك بأننى لا احتاج إليك بعد ذلك » .

ـ « لا ؟ لا تريدنى ؟ » كانت أرجلها تهتز لكنها استطاعت أن تترك ظهر الكرسى إعادة شرائط الفستان على كتفيها .

ـ « لازلت إمرأة مغرية جدا ، لكنك لا تستطيعين أن تديرى رأسى بعد ذلك» وأضاف : « فات الأوان الآن » .

ـ قالت : « أنت تريد ذلك بقدر ما أريد » . الطريقة التى بها ترقد على الكرسى ومتلاصقة بجسمه ، ولا خطأ فى مدى إثارته .

ـ « ربما هذا . لكن ضبط نفسى وهو ما يهمك هو أقوى الآن مما كان . لن أسمح لنفسى بأن يتم جر نفسى إلى شبكتك ثانية » .

تتساءل لورا لو أن ضبط النفس لديه أقوى فلماذا هو مازال يرتعش . إنه من الواضح أنه مصمم على إنكار قدرتها على تحريكه . هل يخشى من أن رغبته فيها تقوم بتبديد دفاعاته التى بناها أمامها ؟ إن ما يؤلمها جدا هو الاعتراف بأنه لا يشعر تجاهها بأى شىء سوى الشهوة المثارة فى هذا الوقت .

ـ استمر جاريث فى الحديث : « لا سبيل من إمكاننا إحياء عواطف الماضى . فكل ذلك من الأفضل نسيانه» .

ـ ردت لورا : « هل يمكنك أن تنسى بسهولة جدا ؟ »

ـ « سيكون من الأسهل لو لم نر بعضنا البعض ثانية . لقاءات مثل هذا اللقاء يمكن أن يؤدى إلى مزيد من الألم لكل منا . وحقيقة ما من شىء أكثر لنقوله بيننا ، هل هناك ؟ » بالنسبة للورا ، هناك قدر كبير يجب قوله . ولكن ليس بعد . فكان لديها قدر كاف لليلة واحدة .

وقالت : « سأذهب الآن » .

رمقها جاريث بنظرة وقال : « لا أستطيع الذهاب معك حتى تعود أليسون» .

كانت لورا ممتنة أن أليسون تأخرت الليلة . وإن تفكيرها فى دخول أليسون عندما كانت وجاريث يمارسان الجنس جعلها ترتعش .

قالت لورا : « لا يهم الأمر . لا أحتاج صحبة لأجد طريقى إلى الفندق » .

ـ « هل أنت متأكدة ؟ » .

ـ « متأكدة تماما ، أشكرك » . وأضافت بصعوبة : « قل مع السلامة لماتيو من أجلى » .

بدأت لورا تستمتع بالأجازة التى تعرف أنها تستحقها . أخذت تتجول إلى المعالم فى باث . ثم غامرت وركبت قاربا على نهر أفون وكان الجو مناسبا للجولة رائعا ودافئا ومشمسا بعكس مزاجها . كل يوم يمر يبدو رماديا أكثر من اليوم بيد أن المستقبل يبدو كئيبا جدا . إعتقدت أنها عدلت من حياتها وأخذت السرور من عملها ومن استقلاليتها التى حصلت عليه مؤخرا .

وإنها منذ لقائها بجاريث ثانية واكتشافها ابنها الذى لم تكن تعرف عنه شيئا أبدا جعل الأمر مؤلما لإدراكها بمدى فراغ حياتها حقيقة .

أخيرا التقطت سماعة التليفون وطلبت جاريث . إن أسوأ ما يمكن أن يفعله هو رفضه التكلم معها ، هذا ما اقترحته . لكنه لم يكن بالمنزل . كل ما تلقته رسالة مسجلة على آلة الرد . حدث هذا ثلاث مرات دون أن تترك اسمها . إن ما تقوله لا يمكن أن تفضى به للآلة .

وجدت نفسها فى صباح اليوم الثالث تقف مرة ثانية خارج الباب الأمامى الظريف لشقة جاريث ، فكان عليها أن تقوم ببعض الترتيب لرؤية ماتيو قبل العودة إلى إدنبرج . كان على لورا أن تزيل سوء التفاهم بشأن تبنى الطفل . وأن الحقيقة يجب أن يتم معرفتها فى النهاية . وجاريث عليه أن يصغى إليها هذه المرة .

ـ فتحت أليسون الباب : « آهـ . أهلا ، يا لورا » .

ـ « أهلا . هل جاريث هنا ؟ » .

ـ « ذهب منذ اليومين السابقين » .

ـ « ألم يقل أى شىء عن خروجه ثانيه » .

ـ « لا » . قالت الفتاة الشابة بصوت منخفض واثق . وأضافت : « لم يقل شيئا لى أيضا . عرفت ذلك عندما استيقظت ووجدت مذكرة على منضدة المطبخ تقول إنه رحل . ماتيو المسكين كان قلقا جداً » .

ـ « متى ذلك ؟ »

ـ « صباح الخميس » .

قالت لورا إنه حينئذ رحل مباشرة لأنه دون شك عرف أننى سأحاول الاتصال به لأجل ماتيو ، ولم يرد مواجهتى . وقالت إلى أليسون تسأل : « هل لديك أى فكرة متى سيعود ؟ »

ـ « آهـ . نعم . اتصل هاتفيا ليقول إنه سيعود بعد ظهر اليوم . لا يجب أن يترك ماتيو طويلا ، إذا استطاع » .

ـ « فهمت » .

ـ « نظرت أليسون إلى ساعتها وقالت : إنه يجب عودته حالا فى هذا الوقت . هل تتفضلين وتنتظرينه ؟ » .

بدا هذا هو الحل بالنسبة للورا . بمجرد أن يكون فى شقته سيكون على جاريث سماعها لما يجب أن تقوله إن لم يلق بجسمها إلى الخارج . ترددت قليلا قبل أن توافق . واستمرت أليسون : « ماتيو غير موجود وهو عند جدته منذ الليلة الماضية . كنت سأذهب لأشرب الشاى معه ومسز رايدر فى الحقيقة . ربما سأقضى الأمسية هناك . ومن ثم سيكون لديك الوقت للتحدث مع جاريث بدون مقاطعة . »

وجدت لورا نفسها وليس لأول مرة ، كيف عرفت هذه المرأة الشابة علاقتها مع جاريث وماتيو . إلا أن هذه فرصة جيدة لا يتسنى لها أن تفقدها . « أشكرك . سوف أنتظر » .

أخذتها أليسون معها إلى أعلى ، وأصرت على أن تعد لها فنجانا من القهوة . « ربما يطول بك الانتظار » . حذرتها أليسون وهى تناولها فنجان الشاى الساخن . وأضافت أليسون : « لذا ، ولتأخذى راحتك » .

ـ « أشكرك » .

مازالت المربية الشابة مترددة قبل أن تنصرف . وقالت فجأة :

« أنا أعرف أن الأمر ليس من شأنى . لكنك والدة ماتيو ، ألست كذلك؟ » .

الفصل السابع

اهتز الفنجان على الطبق فانسكبت بعض القهوة . تقابلت عينا لورا مع عينى المرأة الشابة ولم تجد سوى تعبير التعاطف والتشجيع بصورة دافئة . وقالت لورا : « نعم ، أنا والدته » .

ـ « أظن أننى لم أخطىء » .

ـ « كيف ضمنت ؟ أم جاريث أخبرك ؟ » .

ـ « لا ، لم يقل شيئا » . وعادت فأكدت لها أليسون بسرعة : « كنت أشاهدك وماتيو معا . هناك شبه بسيط ـ وهو ملحوظ تماما عندما تكونى بجواره . ومن الواضح أنك تحبينه حبا جما أكبر مما يحبه أى زائر عادى . أعتقد أنى أعطيت الإجابة القريبة » . رشفت لورا بعض القهوة قبل أن ترد أملا فى استعادة بعض من رباطة جأشها قبل أن تتكلم ثانية ، وقالت : « أفترض أنك تشعرين بما يشعر به جاريث ، بأننى الذى يقع على عاتقى اللوم للتخلى عن ماتيو عندما كان طفلاً ؟ » .

ـ قالت أليسون : « لا ، لا أعرف القصة كاملة عما حدث . هذا حقيقة ليس من شأنى كما قلت من قبل . أنا أعرف أنه يتحدث مع ماتيو عن والدته غالباً .

وأضافت : « لا أعرف ما أخبره به عنك » .

ـ « أظن لا شىء جيداً جدا . هو لا يعرف حقيقة كيف تخليت عن ماتيو . »

ـ « هل ستشرحين ؟ »

ـ تنهدت لورا : « سأحاول . هذا لو استطعت أن أقنعه بالإصغاء لى . لاحظ لى كثيراً إلى الآن » .

ـ قالت أليسون بشدة : « اجعليه لينصت إليك . سيكون عظيما لو تجمع ثلاثتكم لعائلة موفقة . ماتيو يحتاج إلى أمه الحقيقية » .

ـ « لكن جاريث لا يريدنى بعد ذلك » . قالت لورا وقد وجدت من الراحة الكبيرة أن تكون قادرة على التكلم صراحة وتشعر باستطاعتها أن تثق فى هذه المرأة الشابة الدافئة والمتعاطفة .

ـ « هل قال ذلك ؟ »

ـ « بإيمان راسخ » .

ـ همهمت . « حسن ، تحدثى إليه . ربما يمكنكما العودة معاً ثانية . هل هذا ما تريدينه ، أليس كذلك ؟ والأمر ليس ماتيو فقط ؟ » .

ـ ابتسمت لورا وهى تنظر لها وقالت : « لا ، ليس الأمر هو ماتيو فقط . كنا سنتزوج ، لكن الأمر لم يستقم » .

ـ « يا للأسف . إنه رجل لطيف . أعترف ، وأتساءل أحيانا عن سبب عدم زواجه أبدا . بدا الأمر غريبا عندما يكون وحيدا » .

ـ « وحيدا » ؟ وجدت لورا الأمر صعب تصديق . جاريث رجل جذاب إلى حد بعيد ووحيد .

ـ « نعم . لديه أصدقاء كثيرون ، لكنه منذ أن عرفته لم تكن هناك صديقة

خاصة به فى حياته . وهذا ما يحيرنى دائما من قبل ، لكننى الآن قابلتك مما يمكننى من الفهم » .

لورا أنهت الأمل الذى أثارته أليسون بكلماتها حتى لو أن جاريث كان وحيدا فلقد أوضح جدا أنه لا يريدنى .

ـ وتنهدت لورا : أخشى من أن تكون علاقتنا خارج نطاق الحل » .

ـ « حسن ، لا تستسلمى دون قتال » .

ـ « لن استسلم » .

ابتسمت المرأتان الشابتان إلى كل منهما معلنتين عن الصداقة المفاجئة وغير المتوقعة التى بزغت بينهما . شعرت لورا أن مساندة أليسون شجعتها بدرجة كبيرة وشاعرة بأنه ما من شىء خارج نطاقها .

ـ قالت أليسون بحرارة : « أتمنى لك حظا جيدا . سأكون مسرورة بالتأكيد لرؤية ماتيو الصغير له عائلة يستحقها » .

ـ « لكنك ستتركين العمل » .

ـ « شكرا لتفكيرك . لكنك لا تقلقى بشأنى . المربية المدربة لديها مشكلة صغيرة جدا فى الحصول على عمل جيد . أو ، بالطبع ، يمكننى الزواج » .

ـ « ديف ؟ » .

ـ نظرت أليسون بحيرة للحظة ثم ضحكت قائلة : « بالطبع ، كنت هنا عندما تحدثت بالهاتف مساء . نعم ، ديف يود أن نتزوج سريعا . وماتيو الآن كبر ، ولا يحتاجنى الأمر أطول من هذا » .

ـ « أقدر لك بحق ما قد قمت به لأجاله » .

ـ « إنه طفل ظريف . وإنه لمن دواعى سرورى أن أعتنى به » .

ـ « هناك الكثير الذى أريد أن أسألك عنه . الآن أنك عرفت السبب فى أنى مهتمة جدا » .

ـ « بالطبع . سنكون معا فى بعض الأحيان » .

ـ « ليس الآن ، إن لم تمانعى . فأنا تأخرت فعلا » . أخذت الجاكت والحقيبة وجرت صوب الباب . لكنها توقفت لحظة ونظرت إلى لورا وكررتها : « حظ سعيد » شعرت لورا لمحة دفء بعد ما رحلت أليسون بفترة ، وهى تشجيع أليسون لها . لو حضر جاريث الآن فهى متأكدة من أنها يمكنها إقناعه للإصغاء إليها .

مرت الدقائق ولا زالت منتظرة . بدأت ثقة لورا فى نفسها تهتز تدريجيا .

كان جاريث إيجابيا جدا لدرجة أنه لم يرد أن يرانى هنا ثانية . فماذا سيقوله عندما يجدنى أنتظره فى شقته ؟

وظلت لورا مشغولة بأفكارها القلقة ، وأخيرا جلست على كرسى تفكر فيما ستقوله لجاريث . لو أنه حضر حالا .

دقت الساعة السادسة قبا أن تسمع وقع أقدامه على درجات السلم . دق قلبها بسرعة فجأة واتجهت ببصرها إلى الباب متساءلة عما سيقوله جاريث عندما يراها هنا .

مرت لحظات حتى قبل أن يلاحظ أنها هنا . دخل جاريث وأغلق الباب . اهتمت لورا بصورة مفاجئة حيث بدا على جاريث التعب وعيناه شبه مغمضتين وذهب بريق عينيه ولا حياة فيهما .

أسرعت لورا بالتوجه نحوه وفى هذه اللحظة نظر ورآها .

عادت الحياة إلى عينيه فى الحال إلى القسوة وسألها : « ماذا تفعلين هنا بحق الجحيم ؟ »

ـ قالت : « أليسون قالت أستطيع أن أنتظرك لرؤيتك »

ـ « قالت هذا ، هل قالت هذا ؟ وأين أليسون الآن ؟ »

ـ « هى وماتيو مع والدتك » .

خرج من الحجرة بسرعة وترك لورا ساكنة . حملق فيها وهى واقفة أمام كرسيها . « لا أعرف ما تفكرى فى أن تحققيه بحضورك إلى هنا ، لكنى سأكون مضطرا إن لم ترحلى اللآن . . . » .

هبت لورا ونظرت إليه نظرة على قدم المساواة . لم تؤكد رغباتها عندما هددها بهذا الأسلوب . وقالت : « لابد وأن أتحدث إليك يا جاريث » .

رمقها بنظرة سريعة وقال : « قلت لك إنه ما من شىء لدينا لنقوله لكل منا » لم تتوقع لورا أن يكون الأمر سهلا ، وقالت بهدوء : « آسفه لأن شعورك هكذا . آمل فى أن تكون بيننا محادثة عاقلة دون السماح لآلام الماضى أن تتدخل . خاصة وأن سعادة طفلنا هى التى أريد مناقشتها » .

ـ « فات الأوان لتقلقى على سعادة ماتيو » .

ـ « لقد أمضيت أفضل جزء من السنوات الخمس الماضية أفكر فى واحد صغير » .

فنظر جاريث إليها نظرات تشككية أخرى ، ولكنه بدلا من أن يطلب منها الرحيل كما توقعت جزئيا سار إلى نصف الحجرة وجلس على أحد الكراسى المريحة . جلست لورا ثانيه أيضا على أحد الكراسى المريحة وكانت تعى أن بضع الدقائق التالية يمكن أن تكون هامة إلى حد بعيد .

ـ « بكل تأكيد لا أريد أن أتدخل على الإطلاق فى الطريقة التى تربى بها ماتيو . لكننى أود أن أكون قادرة على رؤيته أحياناً . وهذا بالتأكيد ليس بالكثير أن أطلبه ؟ »

رد جاريث على الفور : « لقد أنكرت على هذا الحق . لم أكن أعرف أبدا أن لى بناً كما لو يكن ابن كيل . لذلك لا يمكنك أن تتوقعى منى أن أعطى كثيرا من الإعتبار لمشاعرك فى الأمر الآن ، هل يمكنك التوقع ؟ »

ـ « لذلك ستنكر على هذا الحق فى أن أرى طفلى ؟ هل فكرت فى هذا كله ، فى ماتيو نفسه ، أم هذا ما هو إلا طريقة إنتقامك لنفسك منى ؟ »

ـ « كما يظهر ، أفكر فى ماتيو . ولا أشعر أن تكون الفكرة جيدة بالنسبة لكما للقاء ثانية » .

ـ « ولم لا ؟ وما السبب الذى يمكن أن يكون لديك ؟ »

ـ تحدث جاريث ببطىء وقال : « ماتيو أصبح مولعا بك . وسيكون من الأفضل أن تخرجى بهدوء من حياته الآن ، قبل أن يتعلق بك . لن أغامر على إيذائه وقلت لك ذلك منذ البداية » .

ـ وافقت لورا بأن قالت : « لا ، طبعا لا يجب إيذاء ماتيو » رغم أنها تألمت وحزنت من أن يفكر فى أنها تستطيع عمل شىء قد يضايق طفلها . ماتيو صار مولعا بها . وتعلقت لورا بهذا كخط الحياة لتستمر فى الكلام . « كل ما أريده أن أستطيع رؤيته بين الفينة والفينة . مجرد أن أرى كيف حاله يكون » .

ـ نهض جاريث وقالت : « لا ، لا أريد هنا . لماذا بحق الجحيم عدت ثانية إلى حياتى هكذا ، لماذا فعلت هذا يا لورا ؟ »

ـ « لأننى لا أستطيع التخلى عن ماتيو » .

ـ « ماتيو ؟ » لم يكن متوقعا الرد وأضاف قائلا : « لماذا هذا الإهتمام المفاجىء بطفلك ؟ »

ـ « فجأة » وتكاد أن تضحك . « جاريث ، قلت لك إننى ظللت أبحث عنه طوال تلك السنوات . إهتممت به دائماً » .

ـ « والآن عثرتى عليه ، فماذا تنوين عمله ؟ أتقصدين أخذه بعيدا عنى كأى شىء آخر ؟ » .

نظرت لورا إلى عينيه وهو يتكلم عن إمكانية فقد طفلة . لم تكن تفهم حقيقة من قبل مدى حبه لماتيو ومدى شكه فيها وفى ظهورها ثانية فجأة فى حياتهم .

قالت لورا محاولة التأكيد له ثانية : جاريث ، ما كنت أفعل ذلك لك » .

ظهر جاريث أنه غير مقتنع .

ـ « حسن ، افترض أننى لم أعطك سببا جيدا لتثق بى . ولكننى أرغب فى أن أستطيع أن أجعلك تصدق أننى لم أرد أن ألحق بك الأذى » .

ـ « أستطيع العناية بنفسى ، إهتمامى الرئيسى الآن هو أن لا يلحق بماتيو الأذى » .

ـ « كل ما أريده له هو الأفضل »

ـ « حقا ؟ » وكانت السخرية واضحة فى صوته ثانية وقال : « أنت التى تخليت عنه ليتم تبنيه فى أول الأمر » .

ـ قالت لورا بصورة قاطعة : « لا ، لم أفعل » .

لا تحاولى خداعى بقصة أن كل هذا لمصلحته . ساندك والدك . ولم تقلقى بشأن المال مثل كثير من الأمهات غير المتزوجات . حينئذ ، أى عذر لديك ؟ ولو كانت الحقيقة قد عرفت ما كنت تريدين طفلا يسلبك حياتك البهيجة ، أليس كذلك ؟

إن أعماق المرارة فى صوته صدمت لورا ولكن الفرصة لديها طالما أنه طرح الموضوع . لاتفاهم من أى نوع يتم التوصل إليه بينهما بينما موضوع تبنى ماتيو يقبع بينهما دون حل .

ـ « جاريث لا أريد أن يتم أخذ ماتيو منى »

ـ ضحك ساخرا : « لابد وأننى أحمق إذا ظننت أننى أوافق . تذكرى أننى شاهدت توقيعك على أوراق التبنى » .

ـ « لكنك لا تعرف حقيقة ما حدث » .

ـ « أعرف ما فيه الكفاية » .

ـ « جاريث ، هناك الكثير جدا من سوء الفهم بيننا . لأجل خاطر ماتيو ألم تدعنى أشرح ما حدث بعد مولده ؟ »

ـ « هو على الأقل يستحق أن يعرف الحقيقة يوما ما » . انتهزت لورا صمته المستمر وهو واقف أمام النافذة وبدأت قصتها .

ـ « كنت مريضة جدا عدة أسابيع بعدما انفصلنا . مر وقت قبل أن أدرك فعلا أننى كنت حاملا وطال الوقت حتى قبل أن أجد الشجاعة لأخبر والدى . وقتها فات الأوان ليقنعنى أن أتخلص من الطفل ، ربما كان الذى هو يفضله .

واستمرت لورا فى الحديث :

« كان فعلا طيبا فى هذا الخصوص ـ يدرى كم كانت صدمته . أرسلنى بعيدا إلى أحد أولاد عمه ، وعمل كل الترتيبات فى المنزل للتمريض ولأجلى . لم أستطع عمل شىء »

ـ قال جاريث « ألم يخطر ببالك أنك كنت كبيرة بقدر كاف للبدء فى تولى مسئولية حياتك ؟ »

ـ تنهدت لورا : « يجب أن تتذكر أننى كنت معتادة على أن يدير والدى حياتى لى » .

ـ « لدى سبب كاف لأتذكر هذا » .

ـ « نعم أعرف » وحملقت لورا بعيون حزينة وقالت : « على أية حال ، مع رحيلك ، لم أهتم بأى شىء آخر . لم أهتم بما يفعله والدى . »

ـ « ومن المفروض أن لا أهتم بما يفعله أيضا ؟ »

ـ « ليس حقيقة ! طفل هو كل ما تركته منك » .

ـ « أظن أنك كرهتينى » .

ـ « فعلت . ومن الممكن أن أحب أحدا وأكرهه فى نفس الوقت » .

ـ استطردت لورا القصة : « عشت فقط لمولد الطفل . وأعترف بأننى لم أفكر كثيرا فى كيف تسير الأمور عند مولد الطفل ، وافترضت أن كل شىء سيسير بانسجام فى حد ذاته . »

ـ « الآن هو ذلك الذى يمكن أن أصدقه »

ـ كل شىء سار فى مساره الخطأ . كانت هناك تعقيدات عندما تمت ولادته ، وكنت مريضة جدا ثانية لبضعة أيام . كان والدى معى طوال الوقت . كل شىء مهزوز فى ذاكرتى الآن ، أعتقد من الأدوية كلها التى أعطوها لى ، ولكنى أتذكر دون وضوح أنه أحضر لى بعض الأوراق للتوقيع عليها . ظل يقول لى أننى لا يجب أن أقلق على أى شىء وأنه تولى الأمر كله لأجلى . وأتذكر أننى كنت ممتنة له جدا » .

صوت لورا لأول مرة يتغير قليلا وتقول : « يجب أن أتأكد مما قصده . لكننى لم أفعل ، ولن أستطيع أن أغفر لنفسى هذا » .

سمعت جاريث يتحدث ولم تدرك ما يقوله لأن ذهنها كان مشغولا بتلك القصة المرعبة من الماضى ، واستمرت : « عندما شعرت بتحسن من الطبيعى أن أول شىء فعلته هو طلب رؤية وليدى ، دعونى فقط أن أحمله للحظات وكنت أريده جدا . كان كل ما استطيع التفكير فيه . أخبرتنى الممرضات أنهن يقمن

برعايته بعيداً عن المنزل لأننى كنت مريضة جداً . وكالحمقاء صدقتهم » .

سار إليها جاريث ولم تلحظه وفجأة وقف بجانبها واحتواها بين ذراعية واحتضنها ، دفنت وجهها فى كتفه وتعلقت به لحظة وتركت عاطفته الساكنة تخفف عنها ، وقال : « لست بحاجة لأن تخبرينى بالمزيد ما لم تكونى تريدين ذلك فى الحقيقة . يمكننى تخمين باقى القصة » .

ـ قالت لورا : « حالا تعرف كل شىء » .

ـ « كما ترغبين » .

وأكملت القصة : « والدى هو الذى أخبرنى بالحقيقة . لقد رتب لكى يتم تبنى الطفل حتى قبل أن يولد . وقعت الأوراق بنفسى ، وكانت قانونية . توسلت إليه : كيف أجد طفلى لكنه قال : فات الأوان بالنسبة لذلك . لا شىء يستطيع القيام به وقت أن تم توقيع الأوراق . وقال يوما ما سأكون ممتنة لكل ما فعله لأجلى » . ظل جاريث ساكنا ، ووجهه مدفون فى شعر لورا وعرفت لورا سبب عدم قدرته على الكلام لإصابته بهزات وقال : أنا آسف جدا يا لورا ، ما كان يجب أن ألومك ، وما كنت أعرف القصة كاملة . وأنت كريمه جدا أكثر مما استحقه .

ـ « لا . إنى أفهم سبب تفكيرك ، ويقع على اللوم لما حدث مثل أى أحد » . وتحسست يدها وجنته فشعرت بالدموع مازالت تبلل وجهه .

ـ وقال جاريث : « إذا كان هناك أحد يقع عليه اللوم فإنما هو والدك بالتأكيد » .

تنهدت لورا : « لا . لقد اعتدت أن أقول هذا . لذلك تركت المنزل . لم أحتمل العيش معه بعد ذلك . لكنه عندما مرض كان يجب أن أعود ثم تحدثنا . فهمت أنه كان يفعل ذلك ظنا منه أنه الأحسن بالنسبة لى . أراد أن أتزوج زواجا

جيدا وظن أن ما من أحد يريدنى و معى طفل . فعل هذا لأنه أحبنى » .

ـ « كانت لديه طريقة غريبة لإظهار هذا الحب » .

ـ « ربما . لكنه لم يكن جيدا أبدا فى التعبير عن عواطفه . وفعل فى الحقيقة ما كان يظنه أنه أفضل شىء لى . على أية حال ، كان ذلك كله فى الماضى الآن » .

إن كل ما عنيت به الآن هو المستقبل . اشتاقت لتسأل جاريث لو أنه غير رأيه عن السماح لها برؤية ماتيو من وقت لآخر لو شعر بأى تغير تجاهها . لكن ذلك التناغم بينهما مازال جديدا بينهما لدرجة أنها خشيت من أن وضعه موضع الاختبار بسؤالها أسئلة كثيرة فى الوقت الحالى . وتنهدت لورا بسعادة وهى تشعر بذراعية يحكمهما حولها . وسألها جاريث : كيف نجحت فى العثور علينا ؟ وهل كانت الصدفة التى أحضرتك إلى باث ؟ قلت إن والدك لم يخبرك مطلقا بأننى أخذت ماتيو . فكيف أتيت للبحث عنه هنا ؟

ـ « عندما ثم تصنيف ممتلكاته كنت وحيدة مع بضعة صناديق تحتوى على أوراقه الخاصة ثم فكرت فى أن أفحصها . وجدت مظروفا مع صورة ولد صغير . لم يجتح الأمر لأن أقول من يكون أو أين تم التقاطها لكننى عرفت إنها صورة ماتو. هو فى الحقيقة يشبهك كثيرا » .

ـ « نعم ـ ليس به الكثير منك ما عدا الشعر » .

ـ « ما الذى أوحى لك فى الصورة أن ماتيو يعيش فى باث ؟ »

ـ « التقطت الصورة فى الحديقة التى هناك مع المنازل المنحنية فى الخلف . سألت كل من أعرفه ، ووجدت من ذهب إلى باث وتعرف على المنظر » .

ـ « فهمت . كم الأمر بسيط » .

قاطع حديثهما صوت فتح الباب أسفل السلم وأصوات تقترب .

ـ « لابد أنها أليسون وماتيو » .

ـ « نعم » وتركت لورا ذراعى جاريث وأصلحت ملابسها وشعرها ومسحت آثار دموعها على خديها وقالت : « أظن من الأفضل لو ذهبت الآن » .

ـ « سأعيدك إلى الفندق » .

ـ « أشكرك » .

فجأة شعرت أن ما لديها يكفيها لليلة واحدة . عواطفها فى حالة فوضى ، فكل ما تريده أن تكون بمفردها لتستعيد تماسكها . كانت مسرورة لانشغال أليسون بتجهيز ماتيو إلى السرير ، وابتسمت لها ، وممتنة لجاريث الذى لم يكن يرغب فى الحديث وهو يقوم بتوصيلها إلى الفندق .

ـ قال وهى تتركه : « سأتصل لك » وكانت راضية بهذا.

لم تكن هناك مكالمات هاتفية ذاك اليوم ولا اليوم التالى . وأجرت مكالماتين للشقة وتجد أن آلة الرد هى التى تجيب ، فإما أن جاريث قد ترك المدينة ثانية أو أنه لا يريد أن يتصل به أحد . كانت لورا ثائرة فى الصباح الثالث ولم تجلس أطول من هذا تنتظر المكالمة الهاتفية . لابد أن تخرج اليوم وتمتع نفسها ولو قرر جاريث أنه يريد الاتصال بها ـ حسن ، لن يضيره أن ينتظر لتغير ملابسها .

قررت لورا استئجار تاكسى لأنها لم ترد البقاء فى باث وتريد عمل جولة حول الريف . وكان قرارا جيدا . شعرت بأن معنوياتها ترتفع واتجهت إلى الريف الجميل . فتحت زجاج النافذة لتتنفس النسيم حولها مستمتعة بالهواء البارد بعد الشوارع الحارة والضيقة فى المدينة .

ظلت طول اليوم فى الخارج . بعد تناول الغداء وسارت بالسيارة لمسافة أميال فوق الهضاب . عادت بعد ذلك إلى المدينة فى وقت متأخر من الأمسية متعبة لكن

سعيدة وشعرت أنها فى سلام ـ وتم استقبالها بتحية وأخبار أن مستر رايدر حاول الاتصال طوال اليوم بها .

دق جرس التليفون ثانية بعد بضع دقائق من وصولها إلى حجرتها .

ـ « لورا ؟ »

ـ « أهلا ، يا جاريث »

ـ « أين كنت ؟ ظللت أتصل بك طول اليوم » .

ـ « خرجت بالسيارة إلى مينديس . فأنا هنا فى أجازة ، لو تذكرت هذا . هل تريد شيئا ؟ »

ـ « أريد أن أتحدث إليك . هل من الممكن أن تحضرى إلى الشقة ؟ بعد ظهر باكر ، هل يمكن ؟ » وشعرت لورا من صوته أنه يريد فعلا رؤيتها .

ـ « باكر ؟ ، نعم وهو كذلك »

ـ « سأراك حوالى الساعة الثانية » .

ـ « نعم ، سأراك »

توجهت لورا فى الموعد إلى الشارع رويال بعد ظهر اليوم التالى ، وشعرت بأن هذا اللقاء لن يكون أسهل اللقاءات ولن تسمح لجاريث بأى سبب ليتشاجر معها .

قابلها بأدب وكان بمفردها فى الشقة ، أليسون وماتيو سيتناولان الغناء مع أصدقاء ـ أخبرها بذلك . فيمكن الحديث معا دون خوف من المقاطعة .

سألته لورا : « ماذا تريد أن تتحدث عنه ؟ »

تردد جاريث ثم سألها لو كانت تريد بعض القهوة .

ـ « لا . أشكرك » . لم تدعُنى هنا بعد الظهر لمجرد زيارة عائلية . فمن فضلك أخبرنى بما تريد من رؤيتى ؟ »

ـ « حسن جدا » . ووضع يديه فى جيوب البنطلون ومشى عبر الحجرة ثم توقف واستدار فجأة ليقول لها :

ـ « إنى أفكر فى أن نتزوج » .

www.elromancia.com

الفصل الثامن

ـ « تتزوج ! » كانت لورا مندهشة من الكلمة التى خرجت لتوها . كان هذا الشىء أقل الأشياء التى توقعت أن يقولها لها ، وسألته : « لماذا ؟ » .

ـ « لماذا ؟ » كرر جاريث هذا .

ـ يبدو أنه أصلح سؤال فى هذا الظروف . ألأنك أن تعلن أنك تحبنى ؟»

ـ حملق فيها جاريث وقال : « أظن أنه يجب أن توافقى على أنه من الحمق التوقع بإحياء الذكريات التى اندثرت منذ مدة . »

رفضت لورا الإجابة على ذلك . فعواطفها أبعد من أن تندثر ، لكنها لم تستطع لأن هذا الوقت لم يكن هو وقتاً لمثل ذلك الاعتراف . وانتظرت فى صمت أن يقدم جاريث تفسيره .

ـ « اهتمامى هو لأجل ماتيو أساساً . أليسون طيبة جدا معه لكنه يحتاج إلى شخص أمه الدائمة فى حياته . لاسيما وهو يكبر بما فيه الكفاية ليفهم أن عائلته تختلف عن عائلات أصدقائه . ويبدو أنك المرشحة النموذجية . »

وجدت لورا نفسها تقاوم الإغراء لتسأل إذا كانت بحاجة لتقديم أوراق إذا تم قبولها للوظيفة . وكبحت جماح تفكيرها الهيستيرى قليلا . هذا أمر جاد .

وسألته فجأة : « لماذا لم تتزوج من قبل ؟ »

نظر جاريث وهو فارغ الصبر وقال : « لم أقابل أى واحدة أستطيع أن أحبها ولن أتزوج واحدة لا أحبها لمجرد أن أعطى أما لماتيو . »

ـ « حتى الآن ؟ » .

ـ « يجب أن تفهمى أن هذه هى حالة مختلفة » .

ـ « أفترض هذا » .

ـ « إنك مما أخبرتنى به ، أنك تريدين الاقتراب أكثر من حياة ماتيو . وهو فعلا مغرم بك مما يعد بعلاقة طيبة بينكما فى المستقبل . هذا الترتيب يبدو مفيدا لكما » .

ـ « وماذا عنك ، يا جاريث ؟ ماذا ستحصل مما يسمى بهذا الترتيب ؟ »

ـ « أماً لماتيو . والضمان بأنك لن تحاولى أخذه بعيداً عنى » . قال جاريث بصراحة جدا .

ـ « هل تصدق حقيقية أننى سأفعل شيئا مثل هذا ؟ » .

ـ « أظن ربما يتم إغواؤك بالمحاولة . وأظن لو أن ظروف التبنى التى أخبرتنى بها حقيقية فإن المحاكم ربما تمنحك الوصاية عليه ، فهى تكون دائما فى صف الأم . لست مستعدا لأن أصادف هذا » .

ـ « ولذا ستتزوجنى بدلا من ذلك ؟ » .

ـ « نعم » . وأخذ يعدد عدة أشياء ومنها « إثارة موضوع العواطف من مدة . وإذا فهمت أيا منها ستعرفين أن ما أقترحة هو شىء شائع تماما . أعتقد أنه زواج المنفعة . ترتيب عمل ، إن كنت تفضلين . ماذا قلت ؟ » .

إن نغمته غير العاطفية رجفت لورا حتى أعماقها . وهل هى تعنى القليل بالنسبة له الآن ليكون زواجهما مجرد عقد عمل ؟ وهل ستوافق على زواج بتلك المواصفات ؟

ـ « أحسن ؟ »

ـ « لا أستطيع أن أقرر هكذا . ولم تسألنى عن الموعد . فأحتاج إلى وقت لأفكر » .

ـ « ما المدة ؟ »

ـ « ليس طويلاً . أظن أننى سأذهب وأتمشى فى الحديقة . لقد اعطيتنى وقتا لأفكر فى الموضوع » . ومشت طويلا تفكر فى الإقتراح غير المعقول الذى قدمه جاريث لها . أول رد فعل لها هو الرفض للفكرة ، لأنه سيكون من الحمق الزواج من رجل لم يعد يحبها .

هناك إعتبار واحد يجعلها تتردد ـ هو ماتيو . وعرض جاريث هذا سيسمح لها بموقع قانونى كأم لماتيو . ستكون قادرة لأن تكون معه دائما وتراقبه وهو يكبر، وربما تعرض السنوات الضائعة . لأجل هذا تفكر فى أنه باستطاعتها الموافقة .

أدركت فجأة أنها منهكة جسديا وذهنيا . جلست على مقعد فى الحديقة تفكر . كيف تغير جاريث واستطاع أن يقترح هذا الشىء . ففكرت أنه لابد من التفكير فى ماتيو الآن وفيما هو الأفضل له . أفاقت لورا وعرفت أن المقعد الذى تجلس عليه هو نفس المقعد الذى جلست عليه تنتظر رؤية ابنها عندما وصلت أول مرة إلى باث . وفكرت فى أنها وجدت إبنها الضال ونالت فرصة البقاء معه كأمه . فماذا يجعلها تتردد فى أن تقبل ؟ وهذا ما كان كل ما تريده منذ أسبوع .

طلبت من أعماقها المزيد ـ طلبت زوجا يحبها وزواجا كاملا . وذكرت نفسها بأن جاريث ليس عدائيا تماما بالنسبة لها . ولقد أظهر حقا أنه لا يزال يرغب فيها ـ جسديا على الأقل . بمجرد أن يتزوجا يمكنهما بناء ذلك الأساس وتدريجيا يعيد اكتشاف الحب الذى يكنه كل منهما للآخر .

فجأة سمعت صوت أقدام خلفها . إنه ماتيو يجرى فى اتجاهها ، وعلى وجهه

ابتسامه عريضة ترحب بها عندما شاهدها تنظر إليه . وعند هذه اللحظه أدركت لورا أنها اتخذت القرار الصواب .

ـ « أهلا . قال والدى إنك هنا . هل تبقين وتتناول الشاى معاً ؟ »

إبتسمت لورا إزاء هذا . كانت مشتاقة لتمسك ابنها بين ذراعيها وتخبره بأنها ستبقى معه دائما .

وصل جاريث لينضم إليهما ، وعندما نظرت إليه أحست بمدى حبها له .

ـ « مضى وقت طويل فتوجب علينا أن نحضر لنعرف ما حدث لك » .

جلس جاريث بجوارها . وجرى ماتيو إلى الحشائش ليلعب مع صديق له .

ـ « حسن ؟ » سألها جاريث .

ـ « أشعر بأننى يجب أن أوضح لك شيئا ، لو كنت تتوقع أن تجد نفسك متزوجا من وريثة ثرية ، فإنك ستجد نفسك محبطا ، لأننى لا أملك سوى مرتبى » .

ـ نظر باندهاش وقال : « ماذا حدث لكل مال والدك ؟ » .

ـ « ليس هناك مال . فلا أعرف ما حدث ـ سلسلة من الإستثمارات ، أظن هذا . بدا أنه خسر فى عالم المال فى السنتين الأخيرتين . لم أرث سوى الديون » .

ـ « أنا آسف » قال جاريث ، ومنذ ذلك اليوم هناك لمسة دفء فى عينيه ، وضحك فجأة وقال « إن مراكزنا محفوظة ، أليس كذلك ؟ » لا تزعجى نفسك فلدى المال الكافى لأعولك ، حتى أفضل مما فعل والدك .

ـ « لا أريد مالك . تعلمت كيف أعول نفسى الآن . يمكننى الحصول على عمل جيد هنا مثلما فعلت فى إدنبرج . لم أفكر فى الزواج من رجل بمثابة ثمن وجبه للعيش » .

ـ ثم هز جاريث كتفيه قائلا : « هل هذا يعنى أنك قررت الموافقة على عرضى بالزواج منك ؟ »

ـ « نعم . سأتزوجك » .

صار جاريث خبيرا فى إخفاء مشاعره . قال : « أظن أنك ستجدين أن هذا هو أفضل حل فى هذه الظروف » .

ـ « نعم » .

واستمر جاريث فى الحديث يحدد كل الترتيبات التى يجب إجراؤها قبل زواجهما . وأصغت لورا دون تعليق .

أحست لورا بالراحة عندما حضر ماتيو للإنضمام إليهما وقال : « والدى . والدى . هناك رجل يبيع الآيس كريم . هل يمكن أن آخذ واحدة ، من فضلك؟»

ـ « حظة يا ماتيو . أريد أن أخبرك بشىء أولا » .

أخبره بأنه سوف يتزوج لورا فى غضون الأسابيع القليلة القادمة ، ولم يشر إلى العلاقة القديمة بينهما ، ولاحظت لورا هذا .

عندما أنهى جاريث الحديث ، كان ماتيو صامتا للحظات يفكر فيما سمعه . ونظر إلى لورا ثم إلى جاريث وقال : « هذا يعنى أن لورا سوف تكون أمى ، أليس كذلك ؟ »

ـ « نعم » .

ـ « جيد . وهل يمكن أن آخذ الآيس كريم الآن ، من فضلك ؟ »

لم يكن جاريث يتوقع قبول الخبر بمثل تلك السهولة

سألت لورا : « هل تظن أنه فهم ؟ »

ـ « لست متأكدا . سأتكلم معه فيما بعد » .

ـ « وهل ستخبره بأننى أمه الحقيقية ؟ »

ـ « وقتا ما » .

ـ « جاريث ، أظن ـ »

ـ قال جاريث : « ستتحدث فيما بعد . لم يكن الوقت أو المكان مناسبين » .

بدا للورا أنه لا الوقت المناسب أو المكان الصحيح بالنسبه لهما ليتحدثان . دائما ما يجد جاريث العذر عندما تحاول مناقشة بعض من المشاكل الجادة التى مازالت تواجههما ، ويغير الموضوع وأدركت مرة أخرى أنه يتخلص من القضية .

سارت ترتيبات زواجهما بالسرعة الممكنة ، وتم ترتيب الاحتفال الحقيقى لمدة ستة أسابيع . ولم يرد جاريث السماح لها بأى فرصة لتغيير رأيها وتحدث فى أتفاقهما . إن برودة المستمر تجاهها أجبرها على الاعتراف بأنه قلق بصورة أكبر على محاولتها أخذ ماتيو منه . يبدو أن ماتيو وافق على فكرة الزواج من والده . ويزداد حبها له فى كل يوم يمر .

كانت فكرة أليسون أن تقوم لورا وماتيو للخارج يوما . بعيدا عما يحيط بالمنزل ووجود والده ومربيته ، وسيكون من السهل على الاثنين أن يتعارفا أكثر . وبدأت لورا فى تنفيذها .

سأل جاريث : « لماذا تريدين أخذ ماتيو للخارج بمفردكما ؟ ألديك اعتراض على مصاحبة أليسون ؟ أو مصاحبتى ؟ »

ـ « لا ، بالطبع لا . فأليسون تظن أنه سيكون من الأفضل لنا التعود على بعضنا البعض » .

لم يبدو جاريث مقتنعا . جادلت لورا مع نفسها بأنه سيرحب بالفكرة .

أليسون ستتم خطبتها فى وقت قريب ولن تبقى معنا بعد ذلك ، ولورا حينئذ تعتنى بماتيو بنفسها . ستعتقد أن جاريث يفرح من محاولة تحسين علاقتها مع ابنها .

قال جاريث : « أين ستأخذينه ؟ »

ـ « لم أقرر بعد » .

ـ « ألم تفكرى فى ترك باث ؟ »

ـ « لا يبدو ذلك واردا ، ليس فى أول مرة على الأقل . »

ـ « هل تنوين أن يصبح هذا الأمر عادة ؟ »

ـ « ربما يا جاريث ، فإنه إبنى . وبضعة الأسابيع جعلتها مدة أحاول فيها تعويض تلك السنوات التى ابتعدت فيها عنه . »

ـ « إنه إبنك ، نعم . إنك مستمرة فى تذكيرى بذلك . وإنه هو كل ما أردتى ، أليس كذلك ؟ »

ـ « حضرت إلى باث للبحث والحصول عليه ، نعم » .

ـ « والآن ، عثرت عليه ، فما يمنعك من الهرب معه ولا تهتمى بالعودة ؟ »

تضايقت من ظنه أنها قادرة على مثل تلك القسوة وقالت : « إنك من المؤكد لا تصدق أننى أفعل هذا . أنا أعرف ما معنى فقد طفل ـ لم أفرض عليك ذلك الألم ولا على أى أحد آخر » .

ـ « كيف أتأكد من ذلك ؟ »

ـ « عليك أن تتعلم الوثوق بى » .

ـ « هذا كلام أسهل من الفعل . لقد وثقت بك مرة . لقد وثقت بك على حياتى وألقيت بها من وراء ظهرك . أتندهشين لو أننى قلق منك ؟ »

ـ « لا » . تنهدت لورا « وألم نهرب من شبح الماضى » وأضافت : « لكنك يجب أن تعرف أننى لن أفعل أى شىء يسيىء لماتو » . قالت لورا وظنت أن تلك أفضل طريقة لإقناعه .

حملق جاريث فيها ثم هز كتفيه : « أفترض أننى لا أستطيع منعك من أخذه إلى أى مكان » .

ثم قال جاريث : « آسف كنت محتدا . آمل أنك وماتيو تستمتعان بيومكما معاً »

وأمضت لورا بعض الوقت فى اليوم التالى مع ماتيو يتجولان فى متحف اللعب . ثم بعد الغداء تمشيا على ممر كنيت وأفون قنال اللذين ينتهيان إلى ضواحى المدينة .

لم يقترب ماتيو من القناه رغم أنه عاش فى باث معظم حياته . كانت لورا ممسكة بيد ماتيو وهو ينظر إلى الأعماق . ولاطفته لورا حتى سار بعيدا عن المكان مع الإيماء له بأنه ربما يشاهدوا بعض القوارب .

لم يشاهدا أى قوارب لكن هناك ما يشاهدانه ويجعل الولد سعيدا ، وهناك ساعات تنتظر نفخة قوية لتبعث بالدخان الأبيض . وشاهدا لعبا أخرى ، وعائلة البجع ، وظل ماتيو يشاهد صياد السمك لمدة عشر دقائق .

عندما تعبت قدما ماتيو جلس على مقعد فى أشعة الشمس وأحضرت لورا له لفافة حلوى أخرجتها من جيبها لمثل هذه المناسبة .

قال ماتيو : « أحب هذا المكان ، لكننى أرغب فى رؤية قارب . » أشارت له إلى اليسار وقالت : « انظر إلى هناك » وظهر قارب من بعيد . وشاهد القارب الملون فى صمت وإعجاب وكان ماتيو معجبا به عندما أشار إليهما الرجل الذى يمسك عجلة القيادة .

ـ وقال جاريث : « أريد أن أركب أحد القوارب » .

ـ « هل تحب ذلك ؟ ربما نستطيع يوما ما . أنا متأكدة جدا أنه بإمكانك استئجار قوارب مثل ذلك فى الأجازات على القنال » .

ـ « هل نستطيع ؟ » نظر ماتيو إليها بعينين لامعتين مأخوذتين بالفكرة .

ـ « ربما . وسوف ترى ما يظنه والدك عن الفكرة » . قال ماتيو مبتسما لها : «إنه أمر ظريف عندما تكونى والدتى » حيث فوجئت بيد صغيرة تمسك بيدها .

ـ قالت بحنان : « آمل ذلك ، يا حبيبى » .

ـ إستمر ماتيو بسعادة وقال : « أمى الحقيقية كانت تشبهك » . وترك يدها ليضع قطعة حلوى ولا يدرى ما سببته كلماته لها من تأثير .

ـ « ماذا تعرف عنها ؟ »

ـ « أخبرنى والدى الكثير عنها . كانت جميلة وعطوفة وأحبتنى أكثر من أى شىء . لكنها لم تستطع رعايتى عندما كنت صغيرا ، لذا قام والدى برعايتى بدلا منها . ياليتنى أستطيع أن أقابلها » .

ـ قالت لورا : « أنا متأكدة أنك سوف تقابلها يوماً ما » .

جاريث علم إبنهما ليفكر جيدا . إشتاقت إلى أن تأخذ الولد الصغير بين ذراعيها وتخبره بأنه وجد أمه التى أحبتك دائما وتريدك . لكن لورا فكرت فى أنه من الأفضل الاحتفاظ بهذا النبأ لما بعد ، وأن عليها احترام رغباته فى هذا الأمر مهما كانت غير موافقه .

ـ قال ماتيو : « إنى جوعان » .

ـ قالت لورا ضاحكة : « حتى بعد تلك الحلوى كلها ؟ »

ـ « إنها لفافة صغيرة جدا » .

ـ « وهو كذلك ، هيا بنا نعود إلى المنزل » .

ـ « هل نسير طول الطريق ؟ »

ـ « لا ، لا أعتقد ذلك . دعنا نصعد الدرجات عن طريق الكوبرى ونرى إلى أين يؤدى » . الدرجات تؤدى إلى أحد الطرق الرئيسية إلى وسط البلد . وهناك على بعد عشرة أقدام محطة الأوتوبيس .

ـ « هل سنأخذ الأوتوبيس ؟ »

ـ « نعم ، فالطريق طويل بالنسبة للمشى » .

ـ « هائل ! »

وجد أن الأمر مسليا عندما أخبرته بأمر الأوتوبيس . « لم أدرك أن ماتيو المسكين اعتبر نفسه الأقل لأنه لم يركب أوتوبيسا . فكرى فقط فى المال الذى استطعت إدخاره » .

ـ ضحكت لورا : « أنا سعيدة لأن أسمع أنك متحمس لادخار المال » .

ـ « لماذا ؟ » سألها جاريث .

ـ « ربما ماتيو سيقترح الذهاب إلى القناة فى أجازة العام القادم » .

ـ آمل أن تثبتى أنك ماهرة فى قيادة القارب وفتح البوابات المغلقة . وضحك جاريث .

ـ «هل نسيت أنك ستكون معنا ؟»

نسيت لورا . مازالت لا تستطيع الاعتقاد بأنها فى أقل من ستة أسابيع ستكون أم ماتيو ـ وزوجة جاريث .

ـ « نعم ستتزوج . لو أردت ماتيو ، فإنه باستطاعتك أن تأخذيه ، أيضا »

www.elrombucia.com

ـ « نعم أعرف » .

ـ « لورا المسكينة » .

تريده لورا الآن مثلما كانت منذ خمس سنوات ، لكنها متأكدة من أنه سيضحك عليها لو اعترفت بحبه المستمر .

لاحظ جاريث : « ماتيو استمتع بيومه معك ، هل ستأخذينه للخارج ثانيه؟ »

ـ « أحب ذلك . عند عودتى من إدنبرج » .

ـ « هل أنت مصممة على الذهاب إلى هناك ؟ »

ـ « لابد أن أذهب يا جاريث . بريان يريدنى فى المكتب . »

اتصلت لورا هاتفيا ببريان بمجرد أن وافقت على الزواج من جاريث ، لتخبره بأنها سوف تترك العمل لكنها سوف تعمل شهرا للإشعار . والأسابيع الأربعة ستصفى موضوع العمل ويمهد الطريق لمن تحل محلها وتعطيها الفرصة للتخلص من إيجار الشقة وحزم حاجياتها قبل العودة جنوبا . يبدو أن هذا الترتيب هو ترتيب نموذجى .

ـ « لا أرى سببا لذهابك . أهناك أحد بالتأكيد يمكنه القيام بعملك ؟ »

ـ « ليس هناك أحد فى الحقيقية . على أية حال أدين لبريان بالعودة وأقدم مذكرتى بصورة مناسبة . كان طيبا معى »

ـ « أنت فى عجالة للعودة لهذا الرجل . هل أنت متأكدة من أنه ليس السبب الحقيقى لتلهفك على العودة إلى إدنبرج ؟ »

ـ « طبعا ، أنا متأكدة » .

هل تبادر لذهنها غيرة جاريث هل هذا ممكن ؟

ـ « جاريث ، بريان ما هو إلا صديق طيب بالنسبة لى » . وأضافت : « هو رجل عزيز لكنه يقارب الستين وهو سعيد بالزواج لأكثر من ثلاثين عاما . كل ما أفكر فيه هو العمل الذى يتم دفع مرتبى للقيام به » .

ـ « سأوصلك إلى بريستول فى الصباح . هذا سيوفر القطار من باث » .

ـ « جاريث ، لا تهتم »

ـ « أعرف . لكننى لا أريدك ألا تلحقى بالقطار . فكلما أسرعت إلى إدنبرج كلما كان لديك إستعداد للعودة إلى باث . وتأكدى من عدم تخمة العمل هناك فتنسين العودة فى الموعد للزواج » .

ـ « طبعا ، لن أنسى . لن يطاوعنى قلبى أن أحرم ماتيو من هذا العرس . يبدو أنه يظن أنه عبور بين الكريسماس وحفل عيد ميلاد »

ـ « آهـ . نعم ، ماتيو »

وصلا إلى محطة بريستول فى وقت مناسب للحاق بقطار الصباح التالى . وبينهما واقفان على رصيف المحطة صمتا ولم تحب لورا الوداع وهذه المناسبة صعبة جدا لأنها لم تستطع قول كل مافى قلبها .

أعلنت المحطة أن يصل القطار التالى إلى رصيف رقم ثلاثة الساعة التاسعة والدقيقة الثالثة والثلاثين المتجه إلى إدنبرج ويتوقف فى برمنجهام وشيفيلد ويورك » .

ـ « متى ستصلين ؟ »

ـ « يصل القطار فى الساعة الخامسة . طالما ليس هناك تعطيلات كبيرة » .

ـ « وهل المسافة بعيدة من المحطة ؟ »

ـ « ليست بعيدة . هناك خدمة أتوبيس جيدة »

ـ « ثم قال جاريث فجأة : لورا ، هل ستعودين ؟

ـ ظنت أنه كان يمزح : « حسن . بالطبع سأعود » قالت لورا وهى مبتسمة . وأضافت : « إننا سنتزوج بعد خمسة أسابيع ـ أم نسيت ؟ »

ـ « أعددنا للزواج ، ولن تتراجعى . أم نسيتى ذلك ؟ »

ـ « لا . لم أنس . ولن يحدث ذلك هذه المرة ، يا جاريث . فهذه المرة مختلفة » .

ـ « حقا ؟ »

وصل القطار إلى الرصيف وبدأ المسافرون الإتجاه ناحيته . احتضن جاريث لورا وهمس : « ارجعى يا لورا ، ارجعى لى » .

ـ « نعم ، آهـ ، يا جاريث . سأعود بأسرع ما أستطيع . أعدك . أنت تعلم أننى يجب أن أعود . أعد ماتيو . . إلى اللقاء يا جاريث » قالت هذا وسحبت نفسها من بين يديه لتصعد القطار وأضافت : « اعتنى بنفسك » .

تحرك القطار ومازال جاريث واقفا على الرصيف ينظر إليها . « إلى الوداع يا جاريث ، أحبك » لكن ضجيج القطار غمر كلماتها ولم تكن متأكدة من أنه سمع صوتها .

وصلت لورا إلى مكتبها ووجدت أوراق العمل مكدسة على مكتبها فى غيابها ، وهى تفكر فى أن أحداث الأسابيع الماضية ما هى إلا حلم .

فيكى ظنت أن الأمر كان رومانتيكيا جدا . « تخيل أن وجد كلٌ منا الآخر ثانيه بعد ذلك الوقت . ومازال يريد الزواج منك . لابد وأنه يحبك جدا » .

ـ « إننا سنتزوج لأجل خاطر ماتيو » . أوضحت لورا . وسيكون من دواعى الراحة مناقشة المسألة برمتها مع أحد ليست له صلة بها .

قالت فيكى : « آهـ ، هيا ، الناس لا يتزوجون من أجل طفل . ليس هذه الأيام . أظن أنه يحبك لكنه خائف أن تخبريه » .

ـ قالت لورا : أنت لا تعرفين جاريث . إنه لا يخاف أى أحد أو أى شىء .

ـ فيكى : « هل هو فعلا ؟ هل تعرفينه جيدا ، يا لورا ؟ أنت قلت إنك لم تشاهدينه أكثر من خمس سنوات . أعتقد أنه خائف من افتقاد ابنه وخائف من إفتقاد . لكنه حقيقية لا يعرف ما شعورك نحوه بعد كل هذا الوقت ، لذلك عقد معك اتفاق « زواج المصلحة » هذا ليحتفظ بك معه » .

ـ هل تظنين أنه مازال يريدنى ـ لنفسى ؟ ليس فقط كأم لماتيو ؟

فيكى : « بالطبع ، ما من رجل يربط نفسه مدى الحياة بامرأة لا يحبها ، ولمجرد أم لإبنه . فهناك ما هو أكثر من هذا » .

ـ : « ربما . نسيت أن أنهى العمل قبل الرحيل ، وإذا جلست أتحدث لن أنهى العمل . إذا لم يكن لديك عمل يا فيكى فلدى عشرون خطابا تحتاج الرد» . سمعت فيكى هذا وراحت تشغل نفسها بالعمل ، ولم تعرف فيكى كل الحقائق ، ولم تعرف جاريث ، لأنها صغيرة جدا وتتعمد النظر إلى الحياة من الزاوية الرومانتيكية . أما لورا فقد تعلمت أكثر .

وقد مضى الوقت سريعا فى قضاء الأمسيات تحزم ملابسها وكتبها وحاجياتها الأخرى . ها قد حان الوقت لأن تعود إلى الجنوب . إلى حفل عرسها . أوصلها بريان إلى المحطة بكل أمتعتها التى كانت معها ، وتركت الباقى لدى صديقة لها فى شقتها لتأتى وتأخذها فى وقت لاحق .

« هل أنت مضطربة ؟ » سألها بريان وهما واقفان على رصيف المحطة مبتسما لها .

ـ « لا أعرف » .

ـ « لكنك تريدين الزواج من جاريث ، ألست كذلك ؟ »

ـ « نعم . نعم . بالطبع . وأريد أن أعرف ما يشعر به حقيقة حيالى » .

ـ « أظن ذلك واضحا . إنه يحبك . »

ـ « هل تظن ذلك ؟ لقد تحدث كثيرا عن احتياج ماتيو إلى أم . لكنه لم يقل أى شيء عن احتياجاته الخاصة به . لم يقل أى شيء على الإطلاق عن حبه لى » .

ـ « ربما يتردد فى إظهار مشاعره بينما هو غير متأكد من مشاعرك » .

لورا صدمت عند سماعها بريان يردد ما قالته فيكى . لكن لورا تذكرت أن ما من أحد منهما عرف جاريث كما هى عرفته .

ـ « حسنن ، أنت تعرفين أننى أتمنى لك كل ما هو أفضل ، وأخبرينا كيف تسير الأمور معك ؟ »

ـ « نعم ، بالطبع . على أية حال سأعود بالطبع قريبا . سأعود لآخذ باقى حاجياتى ـ لا أستطيع تركها فى شقة آن طويلا » .

ـ « ربما يوصلك جاريث ويمكنك إحضار ماتيو أيضا . نود لقاء الاثنين » .

ـ « نعم . ربما » وافقت لورا .

ـ عانقها بريان عناقاً خفيفاً وقال : « لا تقلقى . أنا متأكد من أن الأمور ستسير سيرا حسنا وتستحقين حظا أفضل فى الحياة . فكفى ما نلته فى بضع السنين الماضية . سنفكر فيكِ كلنا ـ تعلمين ذلك » .

ـ « نعم . أشكرك . وأشكرك على كل شيء . » قالت لورا بحرارة .

عادت لورا إلى باث . وكانت تتوقع جاريث فى المحطة للقائها . لكنها بحثت عنه ولم تستطع التغلب على استيائها لعدم وجوده . والآن ، وجدت نفسها

متلهفة لرؤيته ثانيهة . وبمجرد أن نزلت حجرتها بالفندق ، اتصلت به هاتفيا .

أجابت أليسون وسرت لسماع صوت لورا ثانيه وتجذبتا أطراف الحديث كصديقتين منذ فترة ، تقص كل منهما الأخبار الطازجة . وحددت أليسون موعد زواجها فى نهاية سبتمبر ، ولديها الكثير لتقوله إلى لورا .

وقالت لورا : « هل جاريث موجود ؟ »

ـ « لا ، آسفه يا لورا . كان عليه أن يذهب إلى لندن هذا الصباح . حدث كل هذا فى وقت متأخر ولم تكن هناك فرصة ليعلمك بذلك » .

ـ « متى سيعود ؟ »

ـ « باكر . آهـ ، وقال إذا اتصلت هاتفيا أن أسألك أن تتناولى العشاء معه مساء باكر ؟ »

ـ « نعم ، بالطبع » .

ـ « سأدعه يعرف بمجرد وصوله . فماذا تفعلين الليلة ؟ »

ـ « لم أفكر فى هذا حقيقة » .

شعرت لورا بالاستياء حقيقة . إحساسها يقول لها إن جاريث ذهب إلى لندن عمداً فى نفس اليوم المقرر فيه أن تعود إلى باث .

ـ اقترحت أليسون : « لما لا تحضرى إلى هنا ؟ ويمكنك أن تساعدينى أن أضع ماتيو فى السرير ، ثم يمكننا تناول العشاء معا » .

وافقت لورا بكل سرور . يمكنها الانتظار لرؤية إينها ثانية . افتقدته وهى فى الخارج ، مثلما افتقدت جاريث .

كانت لورا خائفة من أن ماتيو ربما نسيها خلال الأسابيع الطويلة من غيابها . لكن استقباله لها كان بفرحة ، وكادت تبكى عندما أخبرها بأنه افتقدها عندما

كانت فى الخارج . كان لديها الكثير ليقوله كل منهما للآخر بينما جلست أليسون مبتسمه لتراهما سعيدين معاً .

جلست لورا تقص القصص لماتيو الذى قال لها إنه سيذهب معها إلى سكوتلاندا فى المرة القادمة . ووافقت لورا دون تفكير . وعرفت أن بريان وفيكى وصديقات أخريات يردن رؤيته .

سألت أليسون : ألن تعودى ثانيه إلى إدنبرج ؟

ـ « يجب أن أذهب ثلاث مرات لأحضر حاجياتى من شقة إحدى صديقاتى عاجلا أم آجلا »

ـ « فهمت . وأنا متأكدة أن جاريث سيأخذك لسيارته . واطلبى منه ذلك » .

ـ « ربما » .

عرفت لورا بعد أربعة أسابيع أن هناك الكثير من الموضوعات الهامة تريد مناقشتها مع جاريث . وعليها الانتظار إلى الليلة التالية .

الفصل التاسع

استعدت لورا لخروجها مساء مع جاريث بعناية خاصة . أخذت حماما وغسلت شعرها وارتدت أحد الفساتين الخاصة بالسهرة التى أحضرتها من إدنبرج . الملابس الظريفة هى بعض التذكارات التى لديها من حياة الترف الماضية التى عاشتها عندما كانت فى منزل والدها . فكرت ذات مرة أن تلقى بها ، بدا أن لها صلة بحياتها الجديدة التى بنتها لنفسها . الآن هى مسرورة أنها لم تستلم لتلك النزوة . وتبدو خطوط الفستان الحرير الأزرق اللون هى خطوط الموضة الآن مثلما اشترته أول مرة ، وأرادت أن تبدو فى حالة خاصة زائدة الليلة .

وضعت لورا مكياجها وبدت عيناها ناعستين وهي تنظر إلى المرآة . هذا الفستان كانْ له ذكريات خاصة جدا بالنسبة لها ، كانت مرتدية هذا الفستان فى المساء الذى طلب منها جاريث أن تتزوجه عندما كان ممسكا بها عن قرب وأقسم أنه يحبها أكثر من أى شىء فى الدنيا . حتى الآن تسمع صوته يعلن ذلك وأنه يحبها ويحتاج إليها طول العمر ، وفى نفس الفستان تسمع الصوت الذى يقترح عليها الدخول فى إتفاقية عمل .

ثم نظرت إلى المرآة لترى تأثيرها النهائى وبدت جيدة ولاحظت جسدها أكثر مما لاحظته فى سنين . لازال خصرها صغيرا إلا أن صدرها ممتلىء وأردافها كذلك منذ مولد ماتيو . ماذا يظن عنها جاريث فيما أصبحت عليه ؟ هل سيزداد حبه

www.elromancia.com

لها، كما أحب الفتاة الصغيرة الجميلة عندما كانت فى الثامنة عشر ؟ أم أن هذا الحب مات مثلما أعلن كثيرا ؟

عندما حضر جاريث ليأخذها نظر إليها نظرة حادة إلا أنه لم يعلق على مظهرها . وسأله : « ألم تعدى الخطط لهذه الأمسية ؟»

ـ « لا » .

ـ « حسن . إنه بالرحلة المفاجئة إلى لندن لم تكن هناك فرصة لعلم أى ترتيبات أخرى معك » .

ـ « هذا حسن » .

شعرت لورا مرة ثانية بأنهما يتعاملان كغرباء ، بأدب وإنهما متباعدان . لم تكن تعرف أفضل طريقة لكسر الحواجز التى أقاماها حول مشاعرهما الخاصة . من الأفضل إعطاء بعضهما الوقت ليعرف بعضهما البعض ثانية ، ووقتا للاسترخاء .

كانت وجهتهما مطعما فاخرا خارج المدينة بجوار النهر . تم حجز مائدة لاثنين عند أحسن مقاعد النافذة تطل على نهر أفون العريض الذى ينساب ببطىء .

شعرت لورا أنها مسرورة أنها أخفت الكثير من المتاعب بمظهرها لأجل المناسبة ، خطط جاريث بعناية للأمسية ، وأرادت هى أن يكون فخوراً بمظهرها . الليلة يرتدى جاريث حلة داكنة جميلة وقميصاً أبيض ناصع البياض ، وبدا رشيقا واثقا وجذابا . هذه الأمسية الخاصة صمم على أن يبذل فيها جهده لتحسين علاقتهما .

بعد ما تم اختيار قائمة الوجبة استرخت لورا فى مقعدها وجالت بنظرها لأول مرة فيما بعد النافذة . بدا النهر رماديا فى ظلام الليل ، ورأت زوجا من البجع

طافيا بعظمة وكبرياء . كل شىء هادىء لدرجة أنها شعرت بأن التوتر يخف تدريجيا من جسمها وذهنها .

ـ رفعت كأسها بتحية مبتسمة إلى جاريث وقالت « أشكرك لإحضارى إلى هنا الليلة . إنه مكان جميل » .

ـ أنا سعيد أنه أعجبك . وكيف الأمور فى إدنبرج ؟

أخبرته لورا قليلا عما كانت تفعله فى الأسابيع الماضية ، وركزت على الجوانب الخفيفة من الأشياء . ثم أخبرها بأنه ذهب إلى لندن لمقابلة بعض الناس الذين إهتموا بتحويل آخر كتبه إلى سلسلة تليفزيونية . وصل الجرسون أثناء ذلك الحديث ، وخف الجو المتشدد بينهما بصورة هائلة .

قالت لورا : إن الأكل لذيذ .

ظهرت لمعة الاستمتاع فى أعماق عينى جاريث عندما نظر إليها . « هل تناولت أى شىء بينما كنت فى اسكوتلندا؟ »

ـ « والآن أنت الذى ذكرت هذا أعتقد أننى لم آكل كثيراً جداً . وأضافت : « لم يكن هناك وقت لأهتم بالوجبات . كان لدى الكثير للقيام به إذ كان يجب أن أعود إلى هنا كما وعدتك » .

ـ « ربما ينبغى أن أطلب الجرسون وأطلب المزيد لتعودى أكثر سمنة فلا يجب تركك تذبلين . »

ـ « آهـ ، لا أظن أن هناك خطراً من ذلك » .

ـ « لا » . وتحركت عيناه ببطء على وجهها وكتفيها وإلى خط الرقبة لفستانها . سرت موجه دافئة فى جسمها حيث رأت عينيه مثبتتين على تجويف صدرها الممتلىء الذى يحدده الحرير الناعم .

ـ « أنت تبدين جميلة الليلة » قال جاريث بصوت منخفض وبعاطفة لم يستطع إخفاءها .

ـ « أشكرك » .

ـ « أنت الان ألطف من أول مرة كنت مرتدية هذا الفستان » .

ـ « هل تتذكر » .

ـ « آهـ ، نعم ، أتذكر » . وأضاف جاريث : كنت أحمقا تلك الليلة ، ألم أكن هكذا ؟

أفرغت ما فى قلبى إليك متوسلا إليك لأن تكونى زوجتى . ولاشك سمعت ذلك من قبل ، ووجدت كل احتياجاتى مسلية جدا » .

ـ « جاريث ـ لا ! »

ـ « لا ؟ أتساءل هل لديك أى نية للزواج بى ؟ »

ـ « نعم ، بالطبع » .

ـ « استطاع والدك إقناعك بتغيير رأيك بسهولة » .

لم تستطع لورا النظر إلى عينيه حيث عرفت إنها مذنبة . وقالت : لا تعرف كم كان ذلك يشبه ، واستمر وقال لى إننى سأدمر حياتى وأنك لن تتزوجنى إذا هربت معك ، وأن كل ما تريده هو وضع يديك على مال العائلة » .

ـ « وأنت صدقتيه ؟ »

ـ « لا ! لم أكن أعرف ما أصدقه فى ذاك الوقت . لقد اعتدت أن أطيع والدى . لم أكن أعرف كيف أواجهه . لكننى عرفتك . كان يجب أن أعرف أن المال لم يكن قضيتك » .

ـ « هل تعرفيننى يا لورا ؟ هل يعرف كل منا الآخر ؟ »

ـ « ماذا تعنى ؟ أحب كل منا الآخر » .

ـ « ليس هذا هو نفس الشىء . قلت إنك عرفت أن المال ليس قضية بالنسبة لى . لكنها قضية . كنت أخشى دائما من أن إفتقادى إلى المال سيبعدك عنى فى النهاية » .

ـ « هل تظنيننى مرتزقاً ؟ » وأضاف : كنت مختلفة آنذاك ، لم يكن لديك فكرة عن العيش على هامش الخبز . الآن ، تغير كل شىء وأصبحت ثريا . هل هذا سيكون بيننا ، أتظنين ذلك ؟»

ـ « لا . لا لو لم ندع ذلك . يا جاريث »

أحضر الجرسون باقى الطعام ، وصب لهم النبيذ ، وتركهم بمفردهما ثانية . تناولا طعامهما فى سكون وشعرت لورا أن كل الحواجز عادت ثابتة بينهما وتساءلت وهى مهمومة ما إذا كانت تلك الحواجز لتختفى الآن . وفرغا من الطعام فى انتظار التحلية حيث قال جاريث دون توقع : « ماتيو وحشك وأنت فى الخارج» .

ـ ابتسمت لورا وقالت : « نعم ، وآسفة لذهابى بينما كنا نعرف بعضنا البعض بصورة أفضل » .

ـ قال جاريث : « أخشى من أن ماتيو المسكين عليه أن يتعود على والد يختفى لأيام أو أسابيع ، وهذا شىء أنا غير سعيد به ، هل أنت فهمت ، لكن الخيار أمامى قليل فى هذا الشأن . وآمل أن تركزى على الاستقرار فى حياته » .

ـ « حسن ، سأفعل هذا » .

ـ « لن تذهبى إلى إدنبرج ثانية وقت أن نتزوج إن لم تنوى ذلك » .

ـ « من الذى أعطى لك هذه الفكرة ؟ »

ـ « ماتيو . يبدو أنه يعتقد أنه سيعود معك إلى هناك » .

ـ « آهـ ! » فجأة فهمت لورا سبب غضبه الشديد ، وحنقه . الطريقة التى أخبره بها ماتيو القصة . وأسرعت لورا بشرح الأمر ثم رأت تكشيرته تخبو .

ـ « هل أنت أنهيت فعلا عملك ؟ »

ـ « أنهيت مع ذلك . أخيرا ربما أبحث عن شىء مماثل فى باث ، بمجرد أن أستقر هنا » .

ـ « لماذا ؟ أنت لا تحتاجين إلى العمل » .

ـ « أعرف . لكننى أستمتع بالعمل ، أحب الاستقلالية الذى يعطيها لى . »

ـ « ما هذا يا لورا ؟ أنا ثرى ، هل أنت فخورة لتتركينى أعتنى بك ؟ »

ـ « لا » . وحلقت فيه بشىء من الاستياء . « لماذا تأخذ أى شىء أقوله بصورة خاطئة ؟ »

ـ « الآن ، أنا مهتم بماتيو . أريد أن أتأكد من أنك ستعتنين به بصورة مناسبة » .

ـ « لا تقلق . سوف أتأكد من أن لا شىء يمنعنى من أن أكون أما لماتيو . ولهذا ، هل هذا هو السبب فى زواجى منك ؟ »

تردد جاريث قبل الإجابة ، وقال : « نعم ، بالطبع » .

ـ هل أخبرت ماتيو أننى أمه الحقيقية ؟

ـ « لا » .

ـ « لم لا ؟ »

ـ « ليس الوقت مناسبا » .

ـ « متى ستقول له ؟ »

ـ « فيم العجلة ؟ لازال الطفل المسكين فى طى التعود على فكرة زواجنا . فالأمر سيستغرق وقتا منه ليقبلك كعضو فى العائلة » .

ـ « لدية أليسون هناك دائما » .

ـ « حقيقى ، لكن زوجة وأم هو شىء مختلف عن مربية » .

ـ « هذا يعنى أنك ستجد من الصعب التخلص منى إن لم أحصل على الرضا الكامل ؟ »

ـ « شىء كهذا » « هل تحبين مشروبا مع القهوة ؟ »

ـ « لا ، أشكرك »

ـ « كما ترغبين »

ـ « هل تظن أنه يجب عدم إخبار ماتيو بأمرى ؟ فكلما عرف الحقيقة فى وقت قريب كلما كان الأمر أسهل بالنسبة له ليقبلنى » .

ـ « ألا تظنين أننى أفهم ماتيو أكثر منك ؟ »

ـ « نعم ، طبعا »

ـ « أعطه وقتا . فهو مازال صغيرا . إننا لا نريد إرباكه بأفكار جديدة كثيرة مرة واحدة » .

ظنت لورا أن جاريث مخطىء فى هذا ، ماتيو طفل ذكى ويستحق أن يعرف الحقيقة عن هويتها . تراخت لورا فى المزيد من المجادلة مع جاريث فى هذا الموضوع المتشدد فيه . إنه يتحمل لوحده مسئولية حياة ابنه هذا الوقت .

ـ « يبدو أنك تحدثت كثيرا إلى ماتيو عنى »

ـ « كيف عرفت ذلك ؟ » قاطعها جاريث بشدة .

www.elromancia.com

ـ « كان ماتيو يخبرنى عن أمه الحقيقية . ولم أخبره بأننى أمه . لكننى يجب أن أشكرك لأنك علمت ابنى أشياء جميلة عنى . وإن لم يكن كلها حقيقة تماماً .

ـ « هل تظنين أنى سيىء لأعلم ابنى أن يكره أمه ؟ »

ـ « لم أقصد هذا على الإطلاق » .

ـ « لن نجادل فى ذلك . هل تريدين المزيد من القهوة ؟ »

ـ « لا ، شكرا » . إن كل ما تريده الآن العودة إلى الفندق . رغم أن الجو دافىء فى الخارج . لم يكن جاريث متأثرا بجمال الليل الدافىء .

ركبا السيارة دون كلمة . لو كان لديهما عشاء هادىء دون تصادم فى الرأى أكان هناك أمل فى نوع من التناغم .

كانت الرحلة إلى باث يخيم عليها الصمت . وعندما وصلا إلى خارج فندق لورا تكلم جاريث أخيرا وسألها : « هل أراك غدا ؟ »

ـ « نعمْ ، أفترض هذا » .

ـ « لدينا أمور عديدة لنناقشها » .

ـ « نعم » ,

ـ « من المفروض أننا سنتزوج فى خلال أسبوع . هناك ترتيبات عديدة يجب إجراؤها قبل يوم الزواج » .

ـ « سأراك غدا . يمكننا الحديث بشأنها . إذن » .

ـ « حسن جدا » .

استيقظت لورا فى الصباح التالى مصابة بصداع ومذاق غير سار فى فمها . وهى لم تشرب الخمر الكثير فى المساء السابق ؟ لم تستطع تذكر ذلك ، كان كل شىء ككابوس فى ذهنها ، مهتز ، وقد تم نسيانه بقدر الإمكان .

تناولت لورا فنجان قهوة وقرصين من الأسبرين ليتوليا أمر الصداع . قررت أن تواجه جاريث بعد الظهر بعدما تسوقت بعض الضروريات . ربما تشعر بتحسن وتكون أكثر قدرة على الصمود لأجل ما تريد من علاقتهما الجديدة .

وجدت لورا أن المشى إلى شارع رويال أكثر تعبا من المعتاد لسبب ما بعد ظهر هذا اليوم . كانت خائرة فى الوقت الذى وصلت فيه إلى شقة جاريث . حتى أن موقفه غير مضمون ليجعلها تشعر بتحسن على الفور . لم يكن وجهه مبتسما عندما شاهدها ، حتى أن صوته الذى رحب بها يخلو من أى ترحاب حار. لورا إن لم تشاهد ماتيو ثانية فكرت فى الرحيل .

كانت مستاءة . وبمجرد أن تبعت جاريث على درجات السلم قال : «ماتيو تم دعوته إلى حفل عيد ميلاد أصدقائه . لن يعود حتى وقت متأخر من بعد الظهر . »

ـ « آهـ . فهمت » الخبر جعلها تشعر بعدم التشجيع ، كانت تتطلع جدا لرؤية ابنها ثانية ـ فهو على الأقل يبدو سعيدا بوجودها .

جاريث وهو يراقب وجهها قال : « أظن أن غيابه سيعطينا فرصة أفضل لأن نتحدث معاً » .

ـ « نعم . أفترض ذلك » . وتنهدت وهى تتكلم . وخشيت من أن أية مناقشة مع جاريث ربما تتدهور وتكون مشادة . وكانت متعبة جدا .

ـ « أنا أعرف أنه الشىء الوحيد الذى سبيه ماتيو هو موافقتك على هذا الزواج » . بدأ جاريث الكلام . وأضاف : « وأنا أتذكر أننى مشترك أيضا . وإذا كنت تحبين هذا الشىء أو لا تحبينه فأنا وأنت علينا أن نتعلم العيش معا كرجل وزوجة . ليس كوالد وأم ماتيو » .

ـ قالت لورا : « إنك أنت الذى اقترحت أنه يجب أن نتزوج لنقدم لماتيو عائلة مناسبة . زواج مصلحة ، وهذا ما أسميته » .

ـ « هذا لن يفلح » .

ضغطت لورا على يديها وقالت : « ما هذا الذى تقوله ؟ »

ـ « أقول إننا لا نستطيع الزواج بهذه الشروط . يجب أن تفهمى هذا » .

ـ قالت لورا : « لكن ماتيو ـ »

ـ انفجر جاريث قائلا وفجأة : « هل هذا هو كل ما تعتنين به ، هل هذا ؟ ماتيو وأنا كنا ناجحين تماما معا ، نحن الاثنان فقط حتى حضرت إلى حياتنا وقلبت كل شىء رأسا على عقب . إذا كنت تريدين معاقبتى على أخطاء الماضى ، فلقد نجحتى فى ذلك ، أليس كذلك ؟ »

ـ « ليس هذا حقيقيا . . . »

أرادت لورا قول الكثير جدا ، وتعرف الكثير جدا تريد توضيحه . شعرت بالمرض المتزايد فى الدقائق الماضية ، الآن ، ومع الاعتذار جرت إلى الحمام لإفراغ معدتها . ثم تمضمضت وغسلت وجهها ويديها . إن الماء البارد جعلها تشعر بتحسن مؤقتا ، وكان وجهها شاحبا بعض الشىء . لم ترد أن تلمس جبهتها لتعرف أن درجة حرارتها مرتفعة . عادت فسألها جاريث بلهجة متغيرة : « هل أنت على ما يرام ؟ »

ـ « نعم أنا بخير » .

ـ « أنت لا تبدين كذلك . هل تريدين أن تستريحى قليلا ؟ »

ـ « لا ، أنا بخير ، حقيقى » لا تعرف لورا لماذا ظلت تقول هذا . فهى لا تشعر بأنها بخير ، وصرحت : « حسن ، عندى صداع شديد . قد أعود إلى الفندق وأستريح قليلا »

ـ « هل أنت متأكده أنك لا تريدين البقاء هنا ؟ »

ـ « متأكدة تماما ، شكراً » .

ـ « سأذهب لأحضر السيارة . أنتى تبدين أنك يجب أن تبقى فى السرير » .

لم تشعر لورا بأنها فى حالة حسنة وسيكون من الأفضل أن ترقد قليلا . لكن الكبرياء جعلها تقول : « لا تهتم بالسيارة ، أستطيع تدبير الأمر بنفسى ، أشكرك »

ـ « أنت لا تستطيعين السير إلى آخر الطريق بنفسك ، لا تكونى حمقاء ، يا لورا . كان يجب أن تخبرينى من قبل أنك لست بخير » .

ـ « وما الفرق ؟ »

ـ « ما كنت تجادلت معك لو أدركت أنك متوعكة . أى رجل تظنيننى ؟ أمكثى هنا لحظة وسأحضر السيارة إلى الباب » .

ـ « أشكرك » .

عند وصولها إلى خارج الفندق كانت تشعر تارة بالبرد ثم بالحرارة تارة أخرى وبالدوار ولا تستطيع الرؤية تماما . ومع ذلك تريد منعه من مصاحبتها إلى الداخل وتفكر فى عدم تركه يراها هكذا .

ـ قال : « امرأة مجنونة . لا تعرفين متى تستسلمين ، أليس كذلك ! » وحملها بين ذراعيه إلى غرفتها .

وساعدها فى خلع ملابسها وشعرت أنها ضعيفة ـ وممتنة لمساعدة يديه الكبيرتين ـ فلم تحتج . زحفت إلى السرير وهو ممسك الغطاءات لها وتمددت على السرير . وشعرت بيده تتحسس جبينها الساخن ، ثم تنهدت بسعادة حيث اللمسة المهدئة خففت من ألم رأسها . فتحت عينيها لترى وجه جاريث القلق .

ـ وقالت : « ظننت أنك عدت إلى المنزل الآن » .

ـ « لا » .

ـ أنا سعيدة .

ـ « أظن أنه ينبغى أن أحضر طبيبا ليكشف عليك » .

ـ « لا . من فضلك ، لا تهتم . شعرت بتحسن بالفعل . بمجرد أن أنام بعض الشىء سأكون بخير » .

ـ « وهو كذلك . لكن إن لم تتحسنى فى الصباح اتصلى بالفندق ليحضر لك طبيباً » .

ـ « نعم . سأفعل » .

ـ « هل تطلبين شيئاً الآن ؟»

ـ « هل من الممكن كوب ماء ، من فضلك ؟ »

ـ « طبعا »

ذهب وأحضر لها ماءً باردا وساعدها فى الجلوس على السرير لتستطيع أن تشرب .

ـ قال جاريث : « اشربى ببطء ، بضع رشفات لكى لا تمرضى ثانية » .

إن لطفه واهتمامه بها جعل الدموع تنهمر من عينى لورا وقالت : « آسفة . . . »

ـ « لا تتكلمى الآن . يجب أن تحاولى النوم »

لا تريد النوم الآن ، وأدارت رأسها على كتفه لتضع وجهها عند رقبته ولم يلقى بها كما توقعت . شعرت بيديه تتحركان فوق رأسها حيث فك وثاق شعرها لينسول على كتفيها .

ابتسمت ابتسامة باهته وقالت : « جاريث » .

ـ قال جاريث بحنان : « اخلدى إلى النوم ، يا حبيبتى » .

الفصل العاشر

استيقظت لورا فى الصباح لكن صوت المرور لم ينبعث من الطريق أسفل النافذة لذلك خمنت أن الوقت مبكر . شعرت بتحسن أكثر . ذهب المرض فجأة كما جاء فجأة ، وتركها بشىء من الكسل .

لم يكن الأمر يستدعى استعجالا لأن تنهض من السرير ، ويمكنها الاستراحة فترة أطول لتسمح بأفكارها العودة إلى أحداث الليلة السابقة . الكثير منها كان مهتزا الآن . لكنها لن تنسى أبدا أن جاريث كان هناك من أجلها عندما كانت فى أشد الحاجة إليه ، وتتذكر كم كان عطوفا ورقيقا .

استيقظت تماما الآن فبدأت تتساءل كم المدة التى تسمح لنفسها بها لترقد هناك . وهى تلتفت لتعرف الوقت من ساعتها إذ تفاجأ بأن جاريث نائم دون أن تتوقع ذلك .

حملقت فيه بافتتان غير قدارة على تحويل نظرها عنه . إنه من الواضح أنه لم يتركها وهى مريضة ، وخلد إلى النوم بينما كان يراقبها . هذا الأمر أعطى لورا لمسة دافئة من الأمن عندما عرفت أنه كان هناك ليعتنى بها . خلع جاكتته وربطة عنقه وحذاءه وفك ياقة قميصه . والآن هو نائم بجانبها مثل ابنه تماما .

ظلت لورا تنظر إلى وجهه وهو نائم تتذكر تفاصيل وجه صبيها حتى فمه

www.elromancia.com

المسترخى فى النوم الذى يخلو من التعبيرات التهكمية التى أزعجتها كثيرا . إنها تريد أن تتذكره هكذا مهما حدث مستقبلا .

نامت لورا ثانية وعندما استيقظت كان جاريث قد رحل من جانبها ، لكنه كان جالسا بجوار النافذة يقرأ كتابا عن الحمامات الرومانية اشترته منذ بضعة أيام . عندما أحس بأنها استيقظت نظر إليها ووضع الكتاب جانبه وحضر إلى جانبها .

ـ « هل تشعرين بتحسن الآن ؟ »

ـ « نعم . جاريث أشكرك . أشكرك لكل ما فعلته الليلة السابقة . كان عطفا جدا منك أن تبقى معى » .

ـ « ماذا كنت تتوقعين منى أن أفعله ، أتركك وأرحل وأنت مريضة ؟

أنا أعرف أن بيننا خلافات ولكننى لست بشعا كما تظنين على ما يبدو » .

ـ « لا . لست كذلك بالطبع . لا أقصد ذلك . كنت أحاول . . . . آهـ ، ما حدث ؟ آسفة لأنك فهمت خطأ » .

ـ « أنا الذى يجب أن أعتذر . لم أعنى أن أحتد عليك ، يا لورا . يبدو أنك أخرجت أسوأ شىء بداخل أحيانا . فلتنسى ـ لست فى حاجة لتشكرينى . هل أستطيع أن أحضر لك شيئا ؟ »

ـ « أود فنجانا من الشاى ، لكننى لم أدرك الإفطار منذ ساعات » .

ـ « الساعة الحادية عشرة تقريبا . لم أكن أريد إزعاجك . أعتقد أن الساعات الزيادة نفعتك » .

ـ « أشعر بتحسن الآن ، ولا يهم سأستعد فى دقيقة و ـ »

ـ « أنت تبقين حيث أنت وسأذهب لأرى لو كان ممكنا إحضار بعض الشاى لك » .

ـ « لن تجد فنجان شاى هنا . ليس فى منتصف النهار . سيخبرونك أن هذا ضد قواعد الإدارة أو شىء كهذا » .

ـ « سوف تحصلين على شايك أيتها السيدة » .

عاد ومعه صينية بعد عشر دقائق مسرورا من نفسه .

ـ « تفضل الشاى كما طلبت . وأظنك تشعرين بتحسن لتأكلى شيئا الآن » .

ـ « جاريث كيف أقنعتهم ليعطوك كل هذا ؟ أنت هائل جدا » .

ـ « نحن نحاول إدخال السرور على مجموعة السيدات فى المطابخ . أسفن عند سماعهن بمرضك » . بعدما تناولت لورا شريحتن من التوست مع الشاى شعرت بأنها عادت إلى الحياة ثانية . وضحك جاريث على مظهرها غير المرتب قائلا : « هذه لورا عزيزتى . والآن متأكد من أنك تشعرين بتحسن . »

ـ « سأشعر بتحسن أكثر لو أخذت حماما وغسلت شعرى » أوضحت لورا ذلك .

ـ « ألم تستطيعى أن تجدى فندقا أفضل من هذا ؟ يجب أن أصر على إقامتك فى الشقة » .

ـ « هذا الفندق يناسب ميزانيتى . ربما لا يرقى إلى مستواك . لكنه اختيارى وأنا أدفع هنا » .

ـ « أنا آسف . وأنا أتذكر دون الناس كم يكون من الصعب النجاح بميزانية صعبة . لقد قمت بعمل جيد . لكن الأمر لا يكون سهلا برمته بالنسبة لك » .

ـ « أشكرك » .

ـ « وماذا عن الحمام الذى تريدينه ؟ وإذا كنت تريدينني أن أنتظر حتى تنتهى مما تريدين فإن هذا لكى أطمئن أنك بخير » .

- « أكون ممتنة . لو كان لديك وقت ، هل لديك ؟ »

- « حسن . اتصلت هاتفيا باليسون وأمى بينما كنت نائمة . لم يتوقعوا حضورى فى وقت محدد » .

- « أشكرك » .

- أنهت لورا حمامها ودخلت حجرتها حيث كان جاريث يقرأ فى كتابها فقال لها : « إن عادات قراءتك تبدو أنها تغيرت تماما . لم تهتمى بكتاب كهذا فى الماضى » .

- « هذا بسببك » .

- « بسببى أنا ؟ »

- « نعم . بعدما ذهبنا إلى الحمامات الرومانية وجدت نفسى أريد معرفة المزيد عن الناس الذين قاموا ببناء مثل تلك الأماكن . لذلك اشتريت الكتاب . هل هو ممتع ؟ »

- « إنه ممتع . هل تقرئين الكثير هذه الأيام ؟ »

- « كمية لا بأس بها . فالناس تتغير » .

- « هذا الكتاب ممتع فعلا . هل يمكننى استعارته عندما تفرغين منه ؟

- « مؤكد . وبكل ترحاب » .

- « شكرا » .

- « يمكن أن يفيد فى بحث إذا قررت أن تؤلف مجموعة كتب فى باث » .

- « ممكن جدا » .

- شعر جاريث أن لورا مازالت متعبة لدرجة أنها لم تستطع تمشيط شعرها مع المجفف فقام وساعدها فى ذلك . أحبت الإحساس بيديه تتحركان على رأسها ،

وأغلقت لورا عينيها لكى لا يستطع جاريث أن يرى تأثيره عليها . قال جاريث :

- « ها هو شعرك أصبح جافا » .

- « شكرا . أنت موهبة . ألم تفكر فى مهنة الكوافير ؟ لابد وأنك تحقق نجاحا كبيرا » .

- « أشكرك يا مدام . أظن أننى سألزم تأليف الكتب لأكسب عيشى ، فهذا يناسبنى » . وقام لتجفيف الماء وراء أذنيها ولم يستطع أن يكف عن ذلك ، وحتى وراء رقبتها حيث قال بمهمهة : « إنها جميلة » .

- قالت لورا : « جاريث . . . »

كانت خائفة لتقول المزيد حيث تذكرت كيف كان رد فعله عندما أرادت ممارسة الحب معه . كم هى مشتاقة للوصول إليه دون خوف من رد فعله ، وأن تلف يديها حول عنقه من الخلف ، وتجذب رأسه إلى أسفل لكى تشعر بلمسة شفتيه ثانية .

- « لا تكابرى يا حبيبتى » قال جاريث برقة . وتذكرت مؤخرا أنه دائما قادر على قراءة تعبيرتها بسهولة جدا .

- « آه ، يا جاريث » أخيرا مال برأسه ليقبلها القبلة التى أرادتها كثيرا .

جذبها جاريث ناحيته مما ضيق الفراغ الذى بينهما واحتضنها . واستدارت لورا بجسمها فى ذراعه لتتناسب مع طريقته الحلوة الماضية .

قبلها وقبلته وبدأ يتلمس شفتيها بشفتيه خفيفا فى أول القبلة ثم تعانقا حيث ازداد الجوع فى كل منهما . أمطرته لورا بالقبل فى كل وجهه واكتشفت من جديد أنسجته التى تتذكرها جيدا فى كل جزء من وجهه .

www.elromancia.com

أسرع تنفس جاريث . أدلف يده داخل الرداء ليجد مما تذكر معه الأماكن الحساسة حيث يعرف بالضبط كيف يلمسها ليثير حمى الرغبة . وشعرت لورا بدقات قلبها تزداد سرعة حتى أنها ارتجفت فى ذراعيه .

ابتعدت يده الحلوة عنها وعانقها جاريث مرة واحدة برفق وندم إلى حد ما واعتدل فى جلسته .

« حبيبتى ، أنا آسف ، نسيت أنك كنت مريضة مؤخرا » قال جاريث لها .

أرادت لورا أن تصرخ بأن هذا الأمر لا يهم وأنها تريده على أية حال . لكن الرباط الذى بينهما مكشوف جدا ، ولا تجرؤ على فعل شىء عند هذه المرحلة لئلا تتمزق ثانية . هدأت من نفسها مؤقتا بأن أسندت رأسها على كتفه وتدرك أنه لا يزال موجودا معها . قال جاريث : « أحتاج إلى فنجان قهوة . وماذا عنك ؟ » .

ـ « فكرة هائلة بالنسبة لى » .

ـ « سوف أرى ما يمكن عمله . »

ـ « إنك تريد فرصة أخرى لتمارس جاذبيتك على السيدات فى المطبخ » قالت لورا مبتسمة لتعاكسه .

ـ « سوف ترين ما التضحيات التى أقوم بها لأجلك » . قال جاريث وهو يغمز بها متوجها إلى الباب .

بعدما خرج جاريث جلست لورا مشغولة قليلا والابتسامة تداعب شفتيها لتسمح لأفكارها بالعودة إلى أحداث الساعات الماضية . ربما هناك أمل لأجل الاثنين . إنه من المؤكد لا يتصرف كرجل يكرهها . لو كان لديهما وقت آخر معا بمفردهما مثل هذا الوقت وذلك لأجل إعادة اكتشاف مشاعرهما تجاه بعضهما .

ـ « لورا ؟ »

ـ « آه . آسفة ، لقد نجحت فى الحصول على القهوة . أشكرك » . قالت لورا ولكنها كانت شاردة فى حلم اليقظة السعيد حتى أنها لم تسمعه فى أول الأمر عندما دخل الحجرة . فحاولها فنجان القهوة وأخذ فنجانه وتوجه ناحية النافذة ليشربه فى صمت تام . نظرت إليه لورا وهو يرتشف القهوة . كان وجهه غير معبر ثانية . كان من الصعب تصديق أن هذا الرجل هو نفسه منذ وقت قصير الذى كان يضحك ويمزح معها وهو نفسه الذى أمسك بها بين ذراعيه وقبلها بحب . ربما هو الآن يندم على تخفيف كل دفاعاته . لم تكن لورا واثقة فيما تفكر . إنه من الواضح الآن أنه ما من فرصة لمزيد من المناقشة الآن . نهض جاريث على قدميه بمجرد أن فرغ من شرب القهوة وقال : « يجب أن أذهب الآن . والدتى وأليسون ترعيان ماتيو ، ولكننى لا أعنى بتركه مدة طويلة جدا عندما لا تكون هناك حاجة لذلك » .

ـ « فهمت » .

ـ « سأتصل بك » .

كان على وشك فتح الباب عندما توقف فجأة واستدار . واتجه إلى جانب لورا حيث كانت جالسة على حافة السرير ومال قليلا وقبلها قبلة خفيفة على خدها وقال :

اعتنى بنفسك . وحاولى أن تستريحى بضعة أيام . سأراك فى أقرب وقت ثانيه » . ثم ذهب جاريث .

أخذت لورا بالنصيحة لتستريح بقية ذالك اليوم . لم تكن قادرة فعلا على فعل أى شىء أكثر من الجلوس فى أشعة الشمس بجانب النهر وتنهى قراءة الكتاب عن المدينة الرومانية .

عادت إلى الفندق بعد الظهر فى وقت متأخر ـ لتجد أماندا رايدر منتظرة فى منطقة الاستقبال .

أوضحت لها أماندا قائلة : « جاريث أخبرنى بأنك مريضة . وكيف تشعرين الآن ؟

ـ « أحسن قليلا ، شكرا » .

ـ « أنا سعيدة لسماع ذلك . وإننى هنا لدعوتك لتناول العشاء معى الليلة » .

ـ « أشكرك . أود ذلك » .

ـ « حسن » قالت أماندا مبتسمة إليها ، وأضافت وهى مترددة : « فى الواقع ، كنت أتساءل عما لو يكن لديك مانع للبقاء معى لمدة ليلتين . حتى يتم العرس . فأنت تبدين شاحبة جدا ، والفندق ، ولو أنه جيد ليس بالمكان للبقاء فيه عندما لا تكونى على ما يرام » . كانت أماندا تنظر إلى بهو الفندق وهى تتكلم مما ينوه على أن الفندق غير جيد . « قلت أنك ستأتين » .

لورا هزها العرض الطيب وأجابت بصورة تلقائية : « لا أود أن أسبب لك المتاعب » .

ـ « لا متاعب » أجابت أماندا وأضافت : « الحجرة الزائدة دائماً جاهزة عندما يبقى . وحقيقة لن أكون سعيدة لأفكر فى زواجك من هنا من الفندق . ألم يكن هذا أفضل لأن تكونى بين أصدقائك ؟ »

راقت الفكرة للورا جدا ووافقت عليها حيث وجدت من المستحيل الإعتراض عليها بعدما تمت الموافقة على الفكرة وفى أقل من ساعة تم جزم أمتعتها ودفع الفاتورة للفندق وانتقلت إلى الغرفة الزائدة فى شقة أماندا .

وقالت أماندا : « هناك مكان وفير لتقومى بتعليق أشيائك فى الدولاب » ، كما أوضحت لها أين تستطيع أن تجد أى شىء قد تحتاجه .

ـ قالت لورا لوالدة جاريث : « هذا عطف شديد منك فى الحقيقة » .

ـ « علمت أنك ستكونى زوجة ابنى ، وأظن أنه ينبغى أن نتعارف بصورة أفضل » .

قالت لورا إلى أماندا : « أود أن نكون أصدقاء ، إذا أمكن فى هذه الظروف . »

ـ « لم لا ؟ »

ـ « حسن ، لا أظن أنك ستكونين مسرورة جدا من طلب جاريث أن يتزوجنى . لقد كنت ضد زواجنا أصلا » .

ـ « يجب أن أعترف أنه ذات مرة شعرت بأنك لم تكون الزوجة المناسبة لابنى » . وأضافت : « ظننت أنك كنت صغيرة جدا وغير ناضجة ، حقيقة ـ »

ـ وأكملت لورا لها الكلام بابتسامة فقالت : « حقيقة مدللة جدا » .

ـ « حسن ـ نعم » ثم ابتسمت أماندا أيضا وأضافت : « لقد تغيرت كثيرا يا لورا . أظن أنك وجاريث ستنجحان معا الآن » .

ـ « آمل أن تكونى على صواب » بعد إحباطات الماضى . وجدت لورا من الصعب الإعتقاد بأن كل شىء يمكن أن يسير فى المسار الصحيح بالنسبة لها بسهولة .

ـ « لقدكفرتما بقدر كاف عن أية أخطاء قد اقترفتماها فى الماضى . بالتأكيد تستحقين أن تكونى سعيدة الآن » ربتت أماندا على يد لورا للتشجيع . ثم غيرت الموضوع ، وقالت : « هل لديك شماعات كافية لكل ملابسك ؟ »

ـ « نعم ، شكرا . تركت معظم حاجياتى فى الشنط ، وأخرجت ما أحتاجه فى اليومين القادمين » .

ـ « منتهى العقل . ولكن ما أمر الملابس التى سترتدينها فى حفلة العرس ؟ فأنت محتاجة لأن تقومى بتعليقها لكى لا تتجعد » .

www.elromancia.com

ـ « أتعرفين أننى لم أقم بشرائها بعد » اعترفت لورا .

ـ تعاطفت أماندا : « بالطبع ، ذهابك إلى إدنبرج لإنهاء عملك ، ثم مرضك ، ولم يكن لديك فرصة للتسوق » .

هزت لورا رأسها بالموافقة . كان كل ذلك حقيقيا بالطبع . إن ما تشعر به بعدم إخبار والدة جاريث هو أنها أجلت شراء ملابس العرس مرة ومرة لكنها لازالت تجد من الصعب الإعتقاد بأن الزواج سيحدث فى الواقع . « يجب أن أذهب للتسوق باكر . ستكون آخر فرصة لى » وقالت لأماندا : « هل ستأتين معى؟ »

نظرت المرأة العجوز وهى مسرورة جدا . لكنها قالت : « من المؤكد أنك تفضلين أن يكون معك أحد قريب منك ومن سنك للذهاب معك فى مثل تلك المناسبة الخاصة ؟ ما رأيك فى أليسون ؟ أستطيع الاعتناء بباتيو لمدة ساعة أو اثنتين» .

ستجلس أماندا مع حفيدها فى الصباح وأليسون ستساعد لورا فى اختيار ما سوف ترتديه فى الزواج . لورا شكرتها بامتنان كبير .

هناك محلات فساتين متخصصة عديدة فى باث ، وتظن أنها ولورا تزور تلك المحلات فى الصباح التالى . لم يكن لديها فكرة عما تريده . لا شىء أجمل من الفستان الأبيض الذى تم التقاطه بعناية فيما سبق . لا تريد أن تتذكر ذلك الآن .

أليسون بالطبع عرفت القليل عن أن زواج لورا وجاريث تم تخطيطه . كانت لورا تقرأ كل مجلات العرائس ، تجمع الأفكار لأجل زواجها المقبل . وأخيرا وجدت لورا أن الحلة الحريرية ذات اللون الكريمى هى المناسبة . وهناك محل آخر لأجل قبعات القش ذات اللون الكريمى مزين بالزهور البيضاء والأحذية ذات الكعبة العالى والجوارب .

قالت لورا ممتنة لصديقتها الجديدة : أشكرك جدا لمساعدتك . لم أكن أعرف ما أعمله بدونك » .

ـ قالت أليسون : « من المؤكد أن هذا شىء مخجل ، لكننى أمتع نفسى . وربما ستفعلين نفس الشىء بالنسبة لى يوما ما ؟ »

ـ « سأكون مسرورة » .

ـ « حسن . سأحجزك لأجل هذا . إلى اللقاء الآن » .

استمرت لورا فى التفكير فى الزواج من جاريث . وتكون زوجة لرجل لازال غريبا عنها ، ومشاعرها الحقيقية لها لازالت غامضة . تذكرت أن هذا الشىء هو ما كان جاريث يحاول إخبارها به عندما كانت مريضة .

« . . . . باكر ، ألا تعتقدين يا لورا ؟ »

التفتت إلى مضيفتها العطوفة أماندا واعتذرت حيث قالت : « أنا آسفه جدا ماذا قلتى ؟ » ابتسمت أماندا إليها ابتسامة تنم عن الفهم خففت من مخاوف لورا من أن تكون حمقاء . وقالت : « لم يكن الأمر هاما . لا تقلقى ، ومن الطبيعى أن يكون ذهنك مركزاً على موضوعات أخرى » .

ـ « أخشى من أن أكون رفيقة سيئة بالنسبة لك » .

ـ « لا . ليس على الإطلاق ، شارفت الساعة على الخامسة . لماذا لم تستعدى ؟ جاريث يتوقع حضورك على العشاء ، أليس كذلك ؟»

ـ « نعم . ألا تظنين أنها طريقة غريبة لقضاء الأمسية قبل الزواج ؟ »

ـ « قليلا ، ربما »

ـ « لكن هذا هو نوع تقليدى من الزواج ، أليس هذا ؟ » قالت لورا .

لذلك ضحكت لورا ووجدت لنفسها العذر وذهبت لتستعد للأمسية .

ارتدت ملابسها التى تتناسب مع العشاء مع جاريث . . وكانت ذكرى تأثير يدى جاريث خلال شعرها المغسول يخبرها بأنه شعر جميل . حسن ، لم لا ؟ فهى تحتاج دفعة لثقتها الليلة .

فتحت أليسون الباب لأجل لورا وكان من الواضح أن أليسون كانت فى طريقها للخروج ، وألقت بالتحية إلى لورا وقالت : « آسفه ، لا أستطيع التوقف حيث سأقابل ديف فى المدينة » . وأضافت : « اصعدى فهم ينتظرونك » .

ظلت لورا مترددة حتى نادى عليها جاريث : « هل أنت ، يا لورا ؟ فلتصعدى . سأكون معك خلال لحظة . »

اكتشفت لماذا ومتى تصعد . كان يقوم بإعطاء حمام لماتيو . شمر عن ساعديه ، والقميص مفتوح عند الرقبة وهو مبلل بالماء . كذلك الجينز مبلل بالماء .

لم يسع لورا إلا أن تضحك عليه . وعاكسته قائلة : « من الذى فى الحمام ؟ » كان ماتيو يبدو لطيفا وكانت متحيرة إلى أى منهما تريد أن تنظر أكثر . تم حل هذه المشكلة بأن وضع جاريث الطفل بين ذراعيها . وقال : « ولتكونى مفيدة وضعى الطفل فى السرير يجب أن أستبدل ملابسى ونذهب إلى العشاء . وقصّى قصة واحدة على ماتيو . وسأحضر لأراك فيما بعد » وكان هذا بالنسبة للطفل .

كان ماتيو يبدو سعيدا بهذا الترتيب مما لمس قلب لورا ثانية لترى كم أنه قبلها فى هذا الوقت القصير . وإن الشعور بيديه الدافئتين حول رقبتها وشعره الناعم على صدرها جعل ذهنها فى حالة فوضى ثانية . انها تحب إبنها جدا . ولأجله بالطبع عليها أن تبقى مع جاريث الآن .

قال جاريث وهو فى حجرة المعيشة معها : « العشاء سيكون جاهزا فى حوال عشرين دقيقة .

ـ « أشكرك » .

ـ « هل كانت رحلة تسوقك مرضية ؟ »

ـ « نعم . أظن أن أليسون وأنا كان يجب علينا زيارة كل محل للفساتين فى باث ولكننا فى النهاية وجدنا الشىء الذى بمفردى ـ دون أليسون ـ ما كنت نجحت فى العثور عليه ، فكانت عونا لى . وكان عطفا من والدتك أيضا أن تتولى رعاية ماتيو فى الصباح حتى يمكننا التسوق معاً » وصمتت .

ـ « ما خطبك يا لورا ؟ »

ـ « لا شىء . ليست هذه الحقيقة » .

ـ « حينئذ أخبرينى »

استطاعت لورا أن تسأله عما إذا كان يريد حقيقة الزواج منها من عدمه .

ـ ما هذا يا لورا ؟ هل لديك أفكار أخرى عن باكر ؟

الفصل الحادى عشر

نظرت لورا بسرعة إلى جاريث إلا أن تعبيره لم يكن مشجعا . فلو كان مهتما بأى شىء على الإطلاق بشأنها لم يكن ليجلس هنا ويناقش مسألة الزواج منها بذلك الأسلوب ، كما لو أن الأمر غير ذى أهمية بالنسبة له سوى ترتيب من ترتيبات الأعمال كما أسماها ذات مرة . وقال فى ملحوظة تلك المرة : « لن يفلح الأمر ، أليس كذلك ؟ »

ـ « لماذا لم يفلح ؟ لقد حصلت على ما تريدين ، أن تكونى مع ماتيو . ولا أظن أنك ستجدين أى شىء لتشتكى منه بالنسبة لى كزوج . سوف أرعاك جيدا ، يمكن أن تحصلى على أى شىء تريدينه ويكون منطقيا ، ولن أزعجك بصحبتى إن لم تريدينى » .

سرى الألم فى قلب لورا . عرض عليها أى شىء تريده فى نطاق العقل ، كل شىء سوى الشىء الحقيقى الذى أرادته . وهو حبه .

ـ « حسن ؟ » حثها جاريث على أن تجيبه .

ـ « لا . لا أستطيع قبول زواج بتلك المواصفات . كنت أظن أننى أستطيع ، ولكننى لا أقوى على ذلك » كانت الكلمات متعثرة ولكنها قالت : « أحب ماتيو أكثر من أى شىء ، وسوف يحطم هذا قلبى لأن أنفصل عنه الآن . ولكننا لا يمكننا الزواج لأجل خاطر الطفل » .

ـ تجلد وجه جاريث قائلا : « لن أدعك تأخذينه منى . لو كان هذا ما تقصدين محاولته ، سأقاتلك فى كل بوصة على امتداد الطريق » .

ـ « أخبرتك ، لن آخذه منك أبدا » .

ـ قال جاريث بشك : « هل تخبرينى أنك ترحلين الآن ولن تشاهديه مرة ثانية ؟

ـ « لا أعرف . الذى أعرفه أننى لا أستطيع الزواج منك للبقاء معه فقط » .

ـ « ربما أنت محقة ، وآمل مع الوقت يمكن أن نتعلم لأن نلقى ألم وحقد الماضى خلفنا . وهذا ليس بمستحيل ، أليس كذلك ؟ يبدو أن ماتيو كل ما بيننا الآن ، وليس هو بالقدر الكافى لعقد الزواج معاً . »

ـ « لا » . همست لورا . « هناك مناسبات فى الأسابيع القليلة الماضية عندما ظننت أنه ربما توجد فرصة لنا . يحب كلانا ماتيو . والجذب الجسدى بيننا قوى كما كان . ولكن ليس بالقدر الكافى ، أيضا ، أليس كذلك ؟ »

ـ « إن الحب من جانب واحد لا ينجح » .

ـ « لا . وأنت أوضحت بقدر كاف أن اهتمامك الوحيد الآن هو اهتمامك بماتيو . من المفروض أننى كنت حمقاء لأوافق على أى شىء أخر ، بعد الطريقة التى عاملتك بها » .

وجدت لورا أنه من الصعوبة أن تتنفس ، وغير قادرة على التفكير بوضوح ، وقالت :

« جاريث ، إنك لا تحاول إخبارى بأنك لازلت تحبنى ، هل تحبنى ؟ » ضحك من ذلك وقال : « أنا أحمق ، لم أتوقف عن حبك . . هل أنت راضية الآن لأنك جعلتنى أقولها ؟ ربما كنت ثائرا معك ، لا أثق بك ، لكننى لم أستطع التوقف عن حبك ، مهما فعلت » .

ـ « لماذا لم تقل أى شىء من هذا من قبل ؟ »

ـ « وهل ضحكت على المحروم من الحب الأحمق ؟ لا ، إنك أفصحت عن المشاعر بقدر كاف . إنك تحبين ماتيو ولا علاقة لك بوالده . ولست فخورا بالطريقة التى استخدمتها معك فى حب طفلنا لإقناعك بالموافقة على أن تتزوجنى فلا أستطيع التخلى عنه وعنك أيضا . ما من مرة أجدك إلا وآمل فى أن نكون عائلة مناسبة ، ربما تتعلمى أن تحبينى ثانيه . لقد كنت مخطئا ، ألست كذلك ؟ »

ـ « نعم » ، وتفكر فيما تقوله .

ـ « لورا ! »

ـ « آهـ . . جاريث ، بالطبع أنت جانبك الصواب . كيف أستطيع أن أتعلم أن أحبك ثانية ، بيد أننى لم أتوقف عن حبك فى المقام الأول ؟ »

حملق كل منهما فى الآخر . اقترب جاريث من لورا وقفت على قدميها . أمسكها بين ذراعيه وعانقها بشدة لدرجة أنها خشيت على ضلوعها من أن تتهشم . وهمس جاريث « سيدتى إن ما قلتيه هو الأفضل . لأننى لن أدعك تذهبين الآن » .

ـ « لا ، لا تدعنى أذهب ثانيه » وأضافت : « لابد وأنك استطعت أن ترى كم أحبك . ولم تكن أبدا أبلها » .

ـ ابتسم جاريث قائلا : « لم أكن خائفا أبدا » .

ـ « أنت ؟ لم تخف من أى شىء أبدا » .

أحكم جاريث عناقها وقال : هذا هو ما تعرفينه يا حبيبتى . كنت خائفا من افتقادك ثانيه لدرجة أننى لم أستطع التفكير بطريقة سليمة . ولم يقع اللوم على عاتقى تماما . فكل مرة أحاول الاقتراب تطرحيننى أرضا بأن تذكرينى بأن ماتيو هو كل ما يهمك . وكنت أخجل لأن عرف بأننى كدت أشعر بالغيرة من إبنى » .

ـ « لقد بدوت باردا ومتحفظا جدا » .

ـ « لقد الحق بى الضرر جدا من قبل . وما كنت متحمسا بالضبط لأعيد التجربة ، صدقينى » .

ـ لكنك أحببنى فعلا ؟ »

نظر جاريث بعمق إلى عينيها التواقتين . ثم مال برأسه ووضع فمه على فمها وقبلها بتأنٍ كبير ، شفتاه مطبقتان على شفتيها إلى أن تراقص الدم فى عروقها وبدأت كل أعضاء جسمها ترتجف .

ـ « الآن أأنت مقتنعة أيتها الشكاكة الصغيرة ؟ »

ـ ضحكت لورا بخفة ودون صوت وقالت : « نعم . لا . قبلنى ثانيه » .

قبلها جاريث مرة ومرة إلى أن لم يكن أمامها خيار سوى أن تصدق .

ـ « الآن يمكننى أن أعطيكى هذا » . وأخرج من جيبه علبة قطيفة صغيرة .

ـ صرخت متسائلة : « جاريث ؟ » طارت بعينيها لتلتقى بعينيه وهو يضع العلبة فى يدها . أمكنها أن تخمن ما بها ، لكنها لم تفهم لماذا لم يقم بشراء ذلك الشىء عندما كان متأكدا من أنها لم تحبه .

ـ « أردت أن يبدو الزواج زواجا حقيقيا لك . وأعتقد أن هذا ربما يساعد . طوال بعد الظهر كنت أبحث عن الخاتم المناسب لأجلك » .

تأثرت لورا من اللمسة التى قام بها جاريث بشراء الخاتم . إنه هو نفس الرجل قديما والآن ، لو كان لديها الإحساس بالرؤية والإيمان لتثق فيه .

كان بالعلبة أجمل خاتم قد رأته . زمردة مربعة ضخمة وهى الحجر المفضل دائما عندها ، ودسته من الماس الدقيق فى مجموعة ضمنت أنها لابد أن تكون من العصر الفيكتورى أو قبل ذلك .

ظلت صامتة طويلا تائهة فى البهجة التى تبعث الدهشة ، مما جعل جاريث يسألها : هل تحبينها ؟

إن هذا يفعل أكثر من أية تأكيدات عاطفية ليقنع لورا بأنه فعلا يحبها فيمكنه أن يثق بها الآن بقدر كاف ليخفض من دفاعاته ويوضح لها أنه مكشوف أيضا .

ـ « إنه لشىء جميل . أجمل خاتم شاهدته على الإطلاق » .

ـ « أنا سعيد لأنك وافقت . لم أرد أن أحضر لك خاتما حديثا . هذا الخاتم فريد . مثلك يا حبيبتى » .

أخرج الخاتم من العلبة ورفع يدها اليسرى فى يده . لكنه توقف لحظة قبل أن يضع الخاتم فى يدها ، وقال : « لا ندم بعد ذلك بشأن هذا الزواج ؟ »

ـ « على الإطلاق » .

ـ « حينئذ هيا بنا نقوم بالعمل هذه المرة بصورة لائقة . أمسك بيدها بإحكام في يده ، وأصابعه دافئة ومتمكنة من أصابعها . وقال : « لورا يا حبيبتى ، أنت تعرفين أننى أحبك . هل ستتزوجيننى ؟ »

ـ « نعم » .

ثم وضع جاريث الخاتم فى إصبع لورا وقال : « هكذا قبلت الزواج ، تخيل محاولة الشرح لماتيو بأنه ما من حفل عرس » .

ـ « مازال أمامنا وقت لنشرح به » .

ـ « أعرف ذلك . ولدى الشعور أنه سيعتقد أن عثوره على أمه الحقيقية هو أفضل هدية عيد ميلاد تلقاها على الإطلاق » .

ـ « طبعا ، إن عيد ميلاده الأسبوع القادم » .

ـ « ولأول مرة سنستطيع الاحتفال كعائلة حقيقية » .

كانت أفكار لورا تطير من الفرحة نحو مستقبل ذهبى ، وقالت : « ربما فى عيد الميلاد القادم يكون هناك طفل شقيق أو أخت لاستكمال العائلة » .

ـ « ممكن » .

ـ جحظت عيناها تجاه رد فعله لافتقاره إلى الحماس ، وقالت متسائلة :

« ألا تريد طفلا آخر ؟ »

ـ « بالطبع أريد . إنما أنت كنت مريضة جدا فى أول مرة . لا أستطيع المغامرة بأن يحدث ذلك لك ثانية » .

ـ « أخبرنى الأطباء بأنه من المحتمل أن لا تكون هناك مشاكل مع حمل آخر . على أية حال أريد طفلا آخر . افتقدت ذلك جدا مع ماتيو »

ـ « تعلمين أننى أكون سعيدا بمنزل للأطفال . وهذا يرجع إليك ، فلتحبى ما يحلو لك . ربما من الأفضل أن نبدأ البحث عن مكان آخر لنعيش فيه . ومسكينة مسز ستيفنز لن يبقى هناك من يمشى فوق رأسها ويد بدب » .

وضحكا معا بخفة .

ثم ارتكنت لورا إلى ذراعى جاريث تبتسم إليه . « سوف يكون عليك أن تعلمنى كيف أعتنى بطفل صغير ، يا حبيبى . أنت أكثر الآباء خبرة من خبرتى » .

عانقها فجأة بشده وقال : « لورا . لورا أحببتك عندما كنت بجمال الثامنة عشرة . لم أدرك أننى استطعت أن أحبك هذا الحب الجم »

ـ سألت لورا : « ما القدر الذى تحبنى به بصورة تزايدة ؟ »

لم يحاول الرد على كلماتها . إنما قبلها فقط وانتظرت هذا طويلا .

انطلق منها تأوه خفيف وتركت نفسها فى حرارة فمه عند الانفجار المفاجىء

www.elromancia.com

للإحساس الذى يسرى فى كل جسمها ، ووضعت راحة يدها على صدره الدافىء الذى يدق تحت أصابعها بصورة غير منتظمة . همس جاريث : « لورا ، أريدك جدا » وتنفسه الدافىء يملأ رقبتها .

وهى تقوم باستكشاف المزيد أمسك بيدها وأبعدها عن جسمه .

ـ « جاريث ؟ »

ابتسم لها وقال : « لا ياعزيزتى ، لو استمريت فى لمس مثل هذا لن أكون مسئولا عن أفعالى . ثم لن تتناولى طعام العشاء الليلة » .

ـ « لا أهتم بالعشاء . لست بجوعانه حقيقة » .

لكن نظرة عينيها أخبرته بوضوح أنها نهمة إليه . وعندما شاهدت رد الفعل المستمر على وجهه مالت لتتحسس شفتاها شفتيه الناعمتين المغريتين .

ـ « لورا » . مع ضحكة ناعسة انزلقت يده تحت ذقنها ورفع رأسها بعناية .

ـ « سيكون رائعا . هذه المرة سنفعل الأشياء بصورة مناسبة . لقد انتظرنا طويلا لأجل هذا ، ولن يلحق الضرر لأى منا للانتظار مدة أطول حتى نتزوج قانونا » .

كان على صواب بالطبع . لورا عرفت ذلك . هذه المرة لن يرتكبوا نفس الأخطاء .

ـ « ربما هذا الذى منه اتخذنا المسار الخاطىء فى أول الأمر . أردنا كل شىء مرة واحدة » .

أحكم جاريث ذراعيه حولها لمدة قصيرة . « كلانا إرتكب أخطاءً ، ولقد دفعنا ثمنها غاليا . لكن ذلك كله كان فى الماضى الآن والأفضل نسيانه » .

ـ « لا . ليس منسيا تماماً . لازال بإمكاننا تعلم شىء من تلك الأخطاء » .

ـ « لقد تعلمت بالتأكيد أنك أهم شخص فى حياتى . وليس لدى نية أن أدعك تذهبين ثانية . »

ولورا أعدت نفسها بكل سعادة لإقناعه بأنها وافقت على كل كلمة .